ثلاث دقات وكلمة واحدة

محمود سالم

ثلاث دقات وكلمة واحدة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

ثلاث دقات وكلمة واحدة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٤٥٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ثلاث دقات وكلمة واحدة	١١
الخطر في كل خطوة	١٧
ريمون ... ذو القبعة	٢٣
البحث عن كارميلا	٢٩
أغنية دافئة ... ولكن ...	٣٥
لقاء مع حسناء	٤١
لماذا سانتا كيارا؟	٤٧
لم يعد العالم كما كان	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ثلاث دقات وكلمة واحدة

أخذَتْ سيارة التاكسي القديمة تهدئ من سرعتها، وقال السائق دون أن يلتفت: إننا في شارع سان مارسيني يا سنيور ... إلى أين أتجه؟

كان السائق يتحدث الإيطالية التي كان «أحمد» يُجيدها إلى حدٍّ ما، ففهم ما قاله السائق وقال: قف هنا.

ونزل «أحمد» ووضع في يد السائق قيمة العداد وبقشيشًا سخيًّا، ثم وقف مكانه حتى عاودت السيارة سيرها، ثم تلفَّت حوله ... كانت التعليمات التي وصلتْه هذا الصباح محدَّدة: اركب الطائرة إلى روما، ثم خذ القطار إلى ميلانو ... اذهب إلى شارع سان مارسيني ... اسأل عن بنسيون فابريلُّو ... احجز غرفةً وحدك ... انتظر رسالة من شخص يُقيم في البنسيون ... ستكون إشارة التفاهم ثلاث دقات على الباب وكلمة «سولو»، وتعني بالإيطالية وحيدًا ... سيُعطيك الرجل مظروفًا مغلقًا. وأعطِه أنت المظروف الذي معك ... كن حذرًا ... فقد تكون مُراقَبًا أو أن يكون الرجل مراقبًا.

كانت التعليمات طبعًا من رقم «صفر»، وكان على «أحمد» بعد أن ينتهي من مهمته أن يُغادر البنسيون وينام في فندق آخر كجزء من عملية التمويه التي يقوم بها. غاب التاكسي عند مُنحنى الشارع ... ونظر «أحمد» أمامه ... كان ثمة كازينو صغير قرَّر أن يشرب فيه كوبًا من الشاي قبل أن ينطلق للبحث عن البنسيون ... وعبَر شارع سان مارسيني، ودخل الكازينو الصغير وجلس وطلب الشاي ...

كان الشارع يُجاوِر محطة سكك حديد ميلانو الضخمة التي بُنيَت في عهد موسوليني على الطراز الروماني القديم، فجاءت آيةً في الفخامة، ورغم أن «أحمد» كان يمكنه أن ينزل من القطار إلى شارع سان مارسيني مباشرةً؛ فقد فضَّل أن يستقلَّ تاكسيًا ينزل فيه بعيدًا

عن المحطة ... ثم يستقل تاكسيًا آخر إلى قرب المحطة ... لقد كانت تعليمات رقم «صفر» أن يكون حذرًا ... ولا بد أن يُنفِّذ التعليمات.

وضع الحقيبة بين قدمَيه، وأمسك بكوب الشاي وأخذ يُفكِّر ... إن هذه أول مرة يَزُور فيها إيطاليا ... وأول مرة يقوم بمهمَّة ليست واضحة الهدف ... فهو لا يعرف مَن هذا الرجل وماذا في المظروف الذي سيتسلمه ... وماذا في الظرف الذي يحمله.

لقد استيقظ مبكرًا جدًّا في المقر السرِّي للشياطين في بيروت وتلقَّى التعليمات ... وودَّع الشياطين وركب الطائرة، فوصل إلى روما خلال ثلاث ساعات ... ثم أخذ القطار إلى ميلانو وها هو يجلس في شارع سان مارسيني لا يَدري ماذا ستأتي به الساعات القادمة.

انتهى من شرب الشاي ... ودفع الحساب ونظر إلى الشارع، ثم حمل الحقيبة وقام وسار قليلًا حتى ابتعد عن الكازينو، واقترب من سيارة تاكسي واقفة، وسأل السائق عن بنسيون فابريلُّو. وأشار السائق إلى نهاية الشارع.

كان «أحمد» يَعرف بخبرتِه أن سائقي التاكسي هم أوفر الناس معلومات عن الأماكن، وفعلًا لم يمشِ أكثر من مائة متر حتى وصل إلى نهاية الشارع وطالعتْه لافتة قديمة كُتب عليها «بنسيون فابريلُّو» ... ومرةً أخيرة التفت ونظر ... ثم دفع الباب ودخل.

كان بنسيون فابريلُّو يقع في عمارة قديمة ... ما زالت تَحتفِظ بطابع الفخامة القديمة ... الأبواب الزجاجية، والسجاجيد ذات النقوش، والرائحة الرطبة التي تُميِّز الأماكن القديمة عن غيرها.

واتجه «أحمد» إلى مكتبٍ كبيرٍ أسوَد اللون جلست خلفه سيدة عجوز مشغولة بالكتابة في دفتر، وقال لها بالإيطالية: بونا سيرا (مساء الخير).

قالت دون أن تَرفع رأسها: بونا سيرا.

وقف «أحمد» لحظات في انتظار أن تتحدَّث إليه ... ولكنها استمرَّت في الكتابة، وهكذا أخرج جواز سفره، ووضعه أمامها؛ فقد كان يُريد أن يرتاح بعد رحلة اليوم الطويلة.

فتحت السيدة جواز السفر، ونظرت فيه ثم كانت المفاجأة عندما قالت باللغة العربية: أنت مصري؟

قال «أحمد» مندهشًا: نعم ... ولكن! ...

ابتسمت العجوز ابتسامة طيبة وقالت: لقد عشتُ في مصر أجمل سنوات عمري، كنت أملك بنسيونًا في الإسكندرية ... في محطة الرمل.

ومضت السيدة العجوز تَروي ذكرياتها عن الإسكندرية ... ولو لم يكن «أحمد» في حاجة إلى الراحة لكان سعيدًا بسماع حكايات السيدة ... واضطرَّ إلى مقاطعتها قائلًا: هل أجد غرفة؟

ردت السيدة الطيبة: من أجل بلادِك العزيزة لا بد أن أجد غرفةً لك!

وأخذت تُراجع دفاترها ثم قالت له: للأسف ... ليس عندي سوى غرفة صغيرة تُطلُّ على شارع جانبي.

قال «أحمد»: لا بأس.

مضت السيدة تُدوِّن المعلومات التي في جواز السفر ... بينما كان «أحمد» يفكر ... هل كان اختيار رقم «صفر» لبنسيون فابريلُّو بسبب صاحبته؟ هل هذه السيدة التي تتحدَّث العربية في ميلانو جزء من المغامرة؟ أم أنها مجرَّد صدفة ... كان يعرف أن عددًا كبيرًا من الإيطاليِّين واليونانيِّين قد عاشوا في مصر ... وأن من الممكن باستمرار أن يسمع الزائر لإيطاليا واليونان اللغة العربية تتردَّد في الشوارع والمقاهي ... ولكن وهو يَحمل هذا المظروف ... وفي انتظار الرجل المجهول كان عليه أن يكون حذرًا.

ولاحظ «أحمد» أن عددًا من نزلاء البنسيون يَخرُجون من المصعد، فالتفت إليهم نصف التفاتة يتفحص وجوههم ... إن واحدًا منهم هو الشخص المجهول ... فمن يكون فيهم؟ هل هو القصير السمين الذي يَعرج قليلًا؟ هل هو الأشيب الذي يضع نظارات سوداء على عينيه؟ هل هو الشاب الأنيق الذي يُصفِّر في سعادة ومرح؟ هل تكون هذه السيدة التي تُشبه الحصان هي الشخص المجهول؟

وعاد «أحمد» يتحدث إلى صاحبة البنسيون العجوز التي ناولته مفتاح غرفته وأخذت تسأله عن مدة بقائه وسببِ حُضورِه إلى إيطاليا. ولم تَترُك له فرصة الإجابة ... فقد قالت وهي تبتسم: لقد جئت تبحث عن عمل طبعًا ... إن عددًا كبيرًا من شباب مصر يَحضُر إلى إيطاليا في الإجازات للبحث عن عمل ... ولكن هذا ليس موسم الإجازات ...

وتركها «أحمد» تُثرثِر وسحب جواز سفره ثم ركب المصعد إلى الدور الثاني حسب تعليمات السيدة ... وسرعان ما كان يقف أمام الغرفة رقم ٩ ... ونظر حوله ... لم يكن هناك أحد بالممر ... وبسرعة ... وحسب تعليمات رقم «صفر» أخرج من جيبه دائرة صغيرة حمراء مِن الورق، وألصقها بسرعة على الباب ... كانت هذه هي الإشارة التي سيَعرف بها الشخص المجهول مكانه ...

ونظر مرةً أخرى في الدهليز ... ثم فتح الباب ودخل وأغلق الباب خلفه بالمفتاح، وسحب المفتاح ووضعه في جيبه ... ثم وضع الحقيبة في الدولاب وأسرع إلى الحمام فاغتسل ... ثم ألقى نفسه على الفراش ونام.

هبط الظلام على ميلانو مبكرًا في تلك الليلة الشتوية ... ثم نزل المطر رذاذًا في أول الأمر ... أخذ يتزايد باستمرار حتى أصبح سيلًا ... وعندما استيقظ «أحمد» وجد الغرفة تسبح في ظلام دامس ... وسمعَ دقَّات المطر على نافذة غرفته الصغيرة ... فنظر في ساعته ... كانت الثامنة والنصف ... وأحس بالجوع ... فهو لم يَتناول طعامًا منذ وجبة الطائرة ... وأزاح الأغطية جانبًا ثم أضاء النور، وفتح الدولاب. كانت الحقيبة في مكانها.

جلس «أحمد» في وسط الحجرة يُفكِّر ... إن الرجل المجهول قد يصل في أي وقت ... فهو لن يستطيع مُغادَرة غرفته ... ودق الجرس ... وانتظر فترة طويلة قبل أن يَسمع دقًّا على الباب ووجد أمامه وجه حسناء صغيرة تَبتسِم في مودَّة ... فطلب منها بعض الساندوتشات وكوبًا من الشاي.

فتح «أحمد» الحقيبة وأخذ ينظر إليها ... كان المظروف مُختفيًا في أحد جيوبها، وفي جيب آخر سرِّي مسدس سريع الطلقات ... كاتم للصوت ... وفي جيبٍ ثالثٍ أدوات للتنكُّر وجواز سفر آخر عليه صورة له ... ولكن بها بعض التغيير ... وفي جيوبٍ أخرى أشياء كثيرة ... إنها حقيبة مُعَدَّة بطريقة فنية تُغطي احتياجاته الشخصية ... واحتياجاته كمُغامر ... وسمع دقات على الباب ... فأغلق الحقيبة بسرعة ... وأخذ يعدُّ الدقات ... هل هو المجهول؟ ولكن الدقات استمرت ... وقام ووجد صينية عليها الساندوتشات وكوب الشاي ... وتناول «أحمد» وجبة العشاء البسيطة بسرعة وأذنُه على الباب في انتظار الدقات الثلاث.

كان المطر ما زال يتدفَّق ... والبرد يشتدُّ ... فأخرج كتابًا من حقيبته ... وتمدد في الفراش وأخذ يقرأ ... وينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... ومضَت الساعات بطيئة دون أن يحدث شيء ... وقام «أحمد» إلى النافذة الزجاجية يَنظر إلى الشارع ... كان المطر ما زال يهطل ... وقد أغلقت المتاجر في الشارع الصغير أبوابها ... ولم يكن هناك عابرٌ واحد. وأحسَّ «أحمد» بالاكتئاب والوحدة ... ولكنه لم يَكدْ يَستدير إلى الخلف حتى خُيِّل إليه أنه يرى من تحت عقب الباب المضاء من الخارج ما يمكن أن يكون قدمَي إنسان ... وتقدم «أحمد» على أطراف أصابعه إلى وسط الغرفة ... ونظر إلى الباب ... كان المقبض يدور في هدوء ... وتأكَّد «أحمد» أن شخصًا يُحاول فتح الباب ... خطا خطوتَين فأصبح

بجوار الحقيبة، وفتحها بحذر، ثم أخرج مسدَّسه، ووقف وسط الغرفة مُنتظرًا ... ولكن المحاوَلة لم تستمر ... وفكَّر «أحمد» بسرعة هل يفتح الباب ليرى من خلفه ... ولكنه فضَّل أن ينتظر ... لقد جاء من أجل مهمة محدَّدة. وإذا اشتبك في مغامَرة أخرى فقد تُعطِّله عن أداء مهمته.

اختفى خيال القدمَين ... وتوقَّفَت محاولة فتح الباب ... ولكن «أحمد» ظلَّ واقفًا مكانه في انتظار ما يُمكِن أن يحدث ... وبهدوءٍ انسلَّ إلى الكرسي الذي في وسط الغرفة وجلس ووجهه إلى الباب ومسدَّسه في يده ... ومرَّت لحظات ... وفجأة سمع مع صوت المطر، صوت أقدام مُسرعة في الدهليز ... وألقى نظرة خاطفة على ساعته. كانت الواحدة بعد منتصف الليل ... وتوقَّفت الخطوات أمام الباب ... وسمع ثلاث دقات مُتتالية، وقفز من مكانه وأسرع يفتح الباب.

الخطر في كل خطوة

فتح «أحمد» الباب ... ووجد أمامه رجلًا يبدو عليه الذعر يُحاول اقتحام الغرفة وهو يقول بصوت هامس: سولو!

وأوسع له «أحمد» الطريق ... ولكن الرجل لم يدخل ... فقد سقط على الأرض في مدخل الغرفة وألقى «أحمد» بنفسه على الأرض بعيدًا من الباب ... ثم مد ذراعه وأطفأ النور فقد أدرك أن ثمَّة من يُطلِق النار من مسدَّس صامت ... وفعلًا سمع ارتطام رصاصة في الباب وانحنى «أحمد» وبكل قوته جذب الرجل إلى داخل الغرفة ... وفي هذه اللحظة ظهر رجلٌ على ضوء الدهليز يتقدَّم مسرعًا وهو يُشهِر مسدَّسًا بيده ... وقفز «أحمد» وضربه بكلِّ ما يَملك من قوة بقدمِه في بطنه، فسقط الرجل خارج الغرفة، وأغلق «أحمد» الباب وأدار المفتاح ... ثم أضاء النور وانحنى على الرجل وسمعه يقول: فينسيا ... سانتا كيارا ... كارميلا ... ثم سكنت حركته، وأدرك أنه مات.

لم يتردَّد «أحمد» في تفتيش الرجل بحثًا عن المظروف ... ولكن ثياب الرجل كانت خالية من أيِّ أثر له.

لم يَعُد أمام «أحمد» ما يفعله سوى مغادرة الغرفة بأسرع ما يُمكن ... ففي الأغلب أن المُطارِدِين أكثر من واحد ... وسيتعرَّض لمحاولةِ اقتحامِ الباب ...

لم يكن قد استبدل ثيابه ... فوضع قدمَيه في حذائه ... ثم جذب الحقيبة وأطفأ النور وأسرع إلى النافذة وفتحها. كان المطر ما زال يهطل بشدة. ولكنه لم يهتمَّ. فوضع قدمَيه خارج النافذة ... وكان قد لاحظ وجود إفريز خارجَها كما هو الحال في المباني القديمة.

ورغم أنه أحس أن الإفريز يهتزُّ تحت ثقله فقد اجتاز النافذة ووقف على الإفريز وأخذ ينقل قدمَيه واحدةً إثر الأخرى وظهره إلى الحائط ... كان يُريد الابتعاد عن الغرفة بأكثر

ما يستطيع من سرعة ... ولكن الإفريز القديم كان يهتزُّ تحت ثقله ... وكانت الأمطار قد جعلته زلقًا ... وأخذ يسير بحذرٍ، وفجأة انكسر جزء من الإفريز ... ووجد «أحمد» نفسه ينزلق إلى أسفل، وكانت الحقيبة في يده اليُسرى، فمد يده اليُمنى يتعلق بالإفريز قبل أن يهويَ إلى الأرض، ولحسنِ الحظ استطاع أن يَقبض على طرف الإفريز بأصابعه وتعلَّق في الفضاء ...

نظر إلى أسفل ... كانت الأرض بعيدة ... ولو قرَّر القفز لسقط وتكسَّرت عظامه ... وفي نفس الوقت كانت ذراعه تُؤلُه وهو مُعلَّق بها ... وأصابعه تكاد تتحطَّم ... ولا بد له من أن يمسك بيده اليسرى، ولم يكن أمامه إلا أن يُلقيَ الحقيبة إلى الشارع ... الحقيبة التي بها كلُّ أدوات عمله ... بالإضافة إلى المظروف الذي لا يعرف ما به.

كان عليه أن يتخذ قرارًا خلال ثوانٍ قليلة قبل أن يَهويَ إلى الأرض ... ولم يكن أمامه إلا أن يُسقط الحقيبة ... فتركها تهوي في أرض الشارع ... ومد يده اليسرى وأمسك بطرف الإفريز ... وأخذ يتحرك باحثًا عن شيء ينزل عليه ... وفي هذه اللحظة أحسَّ بالإفريز يهتزُّ بشدة ... وأدرك أن شخصًا آخر على الإفريز ... ولم يشكَّ لحظةً أن المُطارِد هو الذي كان يُحاول اقتحام الباب.

أسرع «أحمد» في التنقُّل بيدَيه على الإفريز فسوف يَصِل الرجل سريعًا إليه ... ومضى يُبدِّل مبتعدًا بقدر ما يُمكن من النافذة ... وفجأةً وجد السلَّم الحديدي الخلفي للعمارة ... وقدر المسافة ثم طوح بجسده في الهواء وطار مسافة مترَين وتعلَّق بالسلم، وفي لحظات كان يعتدل فوقه، ثم ينزل مسرعًا ... وسمع صوت ارتطام طلقة أخرى من المسدَّس الصامت ترن على حديد السلم ... وأدرك أن مُطارِدَه يراه.

ثوانٍ قليلة كان قد وصل إلى أرض الشارع ... وأسرع إلى الحقيبة. ودق قلبه سريعًا عندما وجدها مكانها ... فقد ظنَّ للحظات أن من المُمكن أن يكون أحد المُطارِدين قد نزَل لانتظاره ... ولكن لم يكن هناك أحد. وما كان يَلتقط الحقيبة حتى سمع صوت صفَّارة يشقُّ سكون الليل ويعلو على صوت المطر ... وأدرك أن أحد رجال الشرطة قد رآه ... أو رأى المُطارِدَ فوق الإفريز.

وحسب تقديره لمصدر الصوت اتجه إلى الجانب الآخر من الشارع وهو يجري بكل قوته ثم انعطف في نهاية الشارع، ووجد نفسه بجوار محطة سكة حديد ميلانو الضخمة ... فأسرع يقفز السلالم العالية بأقصى ما يستطيع من سرعة ... ووصل إلى نهاية السلالم

وأنفاسه تتسارع، ولكنه لم يتوقف بل أسرع يجري حتى دخل دورة المياه. وأغلق على نفسه الباب، واستنَدَ إليه وأخذ يلتقط أنفاسه ... ثم فتح الحقيبة وأخرج منشفةً أخذ يُجفِّف بها مياه المطر التي أغرقته، ومسح الحقيبة ثم سوَّى شعره ... وفتَحَ الباب ليخرج ... وفجأةً وجد مسدسًا مصوبًا إليه وصوتًا يقول: لا تتحرَّك!

كانت لحظة رهيبة، ولكن «أحمد» لم يتردد ... طوح الحقيبة بكل قوة فأصابت وجه الرجل الذي ترنَّح إلى الخلف ... واندفع «أحمد» جاريًا ... ولكن رجلًا آخر عند الباب الخارجي لدورة المياه اعترض طريقه ... وطار «أحمد» في الهواء ثمَّ ضرب الرجل بقدمِه في وجهه، ونزل على قدم واحدة، واستعاد توازنه ... واندفع يجري إلى حيث كانت تقف القطارات ... كانت عشرات من القطارات تقف في المحطة الضخمة التي تُعتبَر من أكبر محطات السكك الحديدية في أوروبا.

انحنى «أحمد» وأخذ يَجري تحت القطارات الواقفة وهو يسمع من بعيد أصوات أقدام تُطاردُه ... كان واضحًا أن المطاردين يتزايدون وأنهم مصرُّون على اللحاق به ... وأدرك أنه إذا وقع في أيديهم ستكون نهايته ... وفشل مُحقَّق للمُهمة التي جاء من أجلها.

توقف لحظات خلف إحدى العربات، وأخذ يَرقُب السيقان التي تجري هنا وهناك تحت المطر. كان شيئًا غير معقول ما يَحدث في هذه اللحظة ... إنه وحده في مدينة غريبة ... يطارده عدد كبير من الرجال ... ومعه مظروفٌ لا يعلم ما فيه ... ومظروف لم يتسلَّمه ... ومياه المطر تتسرَّب من ملابسه إلى عظامه ... وهو متعب ... وأشياء كثيرة جدًّا تختلط في ذهنه ...

كان المُطارِدُون يَقتربون من مكانه ... وهم جميعًا يتسللون بجوار العربات الواقفة حتى لا يراهم ما يُمكن أن يُوجد من حراس في المحطة ... وفتح «أحمد» حقيبتَه وأخرج مسدسه الكاتم للصوت ... ثم انحنى وأخذ يُراقب وقد قرَّر أن يشتبك معهم في صراع حتى النهاية ... ما دام لم يَعُد يمكنه أن يجري وهم يُحيطون به من كل جانب ... وفكر أن يُخرِج المظروف ويرى ما به ثم يُمزقُه وما فيه حتى لا يقع في يد هؤلاء ... ولكنه قرَّر أن ينتظر فترة أخرى ...

وبدأت السيقان من خلال عجلات العربية تبدو وهي تقترب ... وارتكز «أحمد» على ركبته ومدَّ ذراعه بالمسدس مستعدًّا ... وفي هذه اللحظة دوى جرسُ أحد القطارات ... فقطع الصمت الذي ران على المحطة خلال الربع ساعة التي مضَت في المطاردة ... وكان الصفير قريبًا من «أحمد» حتى إنه أفزعه ... ونظر «أحمد» خلفه ... كان الصفير يأتي من

قطار قد بدأ يتحرَّك مبتعدًا عن المحطة ببطء ... ولم يتردَّد «أحمد» ... انحنى على الأرض ومضى يَجري على قدمَيه ويده اليمنى حتى اقترب من القطار المتحرِّك ... كان قطارًا يَشدُّ عددًا من العربات المحمَّلة بالبضائع والأبقار ... وأسرع «أحمد» حتى لحق بآخر عربة، ثم قفز إلى جانبها وتعلَّق بها. ومضى القطار يزيد سرعته تدريجيًّا ... ونظر «أحمد» خلفه ... كان المُطارِدُون ما زالوا مُنحنين على الأرض يبحثون بين العربات ... ولم يَملك «أحمد» نفسه من الابتسام.

مضى القطار يشقُّ طريقه تحت المطر ... وتسلَّق «أحمد» جانب العربة وصعد إليها ... كانت محملة بالأجولة، وعليها غطاء من القماش السميك، فرفع الغطاء، ودخل تحته.

تمدَّد «أحمد» فوق الأجولة الجافة ... كانت ذراعاه تؤلمانه ... ورأسه يدور ... فلم يتمالك نفسه واستسلم للنوم مع دقات عجلات القطار الرتيبة.

عندما استيقظ «أحمد» وجد القطار واقفًا ... وسمع أصواتًا كثيرة تَرتفع حوله ... وعرف على الفور أن القطار واقف في إحدى المحطات ... وأنه لا يستطيع أن يُغادرَه. خاصةً بعد أن شاهد ضوء الشمس يتسرب من خلال ثقوب الغطاء السميك الذي يُغطي البضاعة.

ظل القطار واقفًا فترة طويلة ... وأحس «أحمد» بآلام مختلفة في جسده نتيجةً للثبات على وضع واحد مدة طويلة ... وقرَّر أن يغامر وينظر ... مد أصابعه وأمسك بطرف الغطاء ورفعه بضعة سنتيمترات قليلة ونظر إلى الخارج ... ووجد مبنى محطة صغيرة ... وعددًا من الناس ... وسيارات النقل ... وعرف أنهم يَنقُلون البضاعة ... وأنهم في أيِّ وقتٍ سيَقتربون من العربة التي ينام فيها وسوف يجدونه ...

كان عليه أن يتصرَّف بسرعة ... فأخذ يدور بعينيه في المكان ... كانت الشمس ساطعة وقد توقف المطر ... والضجيج مُرتفع من السيارات والأشخاص وكلهم مشغولون بتفريغ البضاعة.

كان الجانب الآخر من المحطة خاليًا ... ولم يكن هناك إلا القضبان وبعض العربات الفارغة ... وهكذا أخذ «أحمد» يتحرَّك ببطء شديد تحت القطار متجهًا إلى الباب الآخر من العربة ... وأصبح على حافتها جاهزًا للقفز ... وجاءت اللحظة الحاسمة عندما يُزيح الغطاء عن نفسه ويقفز ... لكنه كان معرض في لحظة واحدة للانكشاف ... وقد يُطاردُه الناس على أنه لصُّ بضائع.

ورفع «أحمد» الغطاء تدريجيًّا ... وأخذ يَنزلِق على جانب العربة في هدوء حتى وصلت قدماه إلى الأرض ... ثم نظر حوله ... لم يكن هناك أحد في هذا الجانب من المحطة.

شدَّ قامته وحمل حقيبته وانطلق سريعًا نحو الباب الآخر من المحطة حيث كانت الحقول الواسعة والحدائق ... فسار مُسرعًا حتى وصل إلى الطريق العام ... وأخذ يسير وهو يفكر ... ولم يكن أمامه إلا أن يُوقف أي سيارة مارة ويَركب فيها ... إلى أين؟ لم يكن يدري ... وإن كانت كلمات الرجل الأخيرة في أذنيه: فينسيا ... سانتا كيارا ... كارميلا، مَن هي كارميلا؟!

ريمون ... ذو القبعة

كان من الممكن أن يكون «أحمد» أسعد شخص على ظهر الأرض، لو أنه كان يقوم برحلة أو نزهة في هذا اليوم المُشرق في الريف الإيطالي ... فقد كانت المزارع والحقول تترامى على امتداد البصر ... وقمم الجبال البعيدة تبدو كأشباح خرافية ... ورائحة الورد والمطر الذي انتهى تملأ الجو ... ولكن «أحمد» كان مشغول الذهن تمامًا ... في الأغلب تقوم الشرطة الإيطالية بالبحث عنه الآن بتُهمة قتل هذا الرجل الذي ألقى نفسه عبر الباب ... خاصةً وأنه هرَب من النافذة ... واسمه وجواز سفره مسجَّلان عند السيدة العجوز، وطبعًا لا بد أنها قالت للشرطة أوصافه ... وأخذ يفكر ... هل يعود إلى ميلانو ... إلى بنسيون فابريلُّو ويضع نفسه بين رجال الشرطة ليُثبِت براءته، إن دون ذلك مخاطر كثيرة جدًّا ... أخطرها على الإطلاق المهمَّة التي جاء من أجلها، والمظروف الذي معه ... ثم إن هؤلاء المُطارِدِين الذين فعلوا المستحيل للقضاء عليه ... هل يعود ليُلقيَ بنفسه بين أيديهم؟

كانت هذه الخواطر تطوف بذهنه وهو يمشي وقد أحس بالجوع. ناظرًا إلى السيارات القليلة التي كانت تمرُّ به مشيرًا إليها ... لعلَّ واحدة منها تقف وتلتقطه، ونجح في المرة الخامسة ... وتوقفت سيارة سوداء من طراز «لانسيا» الإيطالي يقودها شاب وبجواره فتاة لاحظ «أحمد» أنها جميلة للغاية.

نظر «أحمد» إلى الشاب قائلًا: أريد الذهاب إلى فينسيا.

ابتسم الشاب وصاح: فينسيا ... إنك تَحلُم يا صديقي!

أحمد: هل هي بعيدة جدًّا؟

الشاب: طبعًا ... ولكن لحُسنِ حظِّكَ نحن ذاهبان إلى فيرونا وهي في منتصَف المسافة بين ميلانو وفينسيا ... ومن هناك يُمكن أن تركب القطار إلى فينسيا.

أحمد: شكرًا ... هذا يُناسبني جدًّا.

وقفز «أحمد» إلى السيارة التي انطلقت سريعًا ... كانت الفتاة الحسناء تنظر إلى «أحمد» بين لحظة وأخرى ... وأحسَّ «أحمد» ببعض الحرج، خاصةً وقد كان الشاب يتحدَّث إليها طول الوقت، فكانت تجيبه في كلمات مُقتضَبة ... ثم تعاود النظر إلى «أحمد».

ما هي الحكاية؟

هكذا فكَّر «أحمد» وهو يحول وجهه لينظر من النافذة إلى الخارج. إن هذَين الشابين ذاهبان إلى فيرونا بلد العُشاق ... حيث جرت مغامَرة روميو وجولييت الشهيرة ... فما الذي يشغل الفتاة عن الفتى؟

وجاء الجواب سريعًا ... فقد التقطَت الفتاة مجموعة من الصحف اختارت من بينها صحيفة «لاستامبا» وأخذت تتصفَّح الورق سريعًا ... وكان «أحمد» يرقب الصحيفة بطرف عينيه ... ودقَّ قلبه سريعًا عندما توقفت الفتاة عند صفحة معيَّنة وأخذت تقرأ ... وبنظرة طويلة استطاع «أحمد» أن يلحظ صورة الرجل القتيل في الصفحة ... الرجل الذي لم يأتِ بالمظروف ... وعرف على الفور أن الصحيفة قد وصفتْه هو ... وأن الفتاة تَشتبه فيه ...

كانت لحظةً لم يَسبِق لها مثيل في حياة «أحمد» ... ها هو في بلد غريب ... متَّهم بالقتل ... يَركب سيارة مع غريبَين تفضَّلا بالسماح له بالركوب معهما ... ومع ذلك قد يجد نفسَه مُضطرًّا لاستخدام العنف معهما ... فمن المؤكَّد أن الفتاة ستَلفِت نظر الشاب إلى الراكب الخطير الراكب معهما ... وفي الأغلب سيتَّجه الشاب بالسيارة إلى أقرب مركز شرطة ... وكان هذا ما يتمنى «أحمد» ألا يحدث ... إنه بريء ... بريء جاء في مهمَّة لا يعرف ما هي بالضبط ... ولكن الوقت ليس مناسبًا لإثبات براءته ... المهم الآن أن يَبتعِد ... أن يصلَ إلى فينسيا ... إن معه جواز سفر آخر لبناني ... ومعه أدوات التنكُّر ... ولو خلا بنفسِه نصف ساعة فقط لغيَّر ملامحه وأصبح شخصًا آخر ... ولكن المهم الآن ماذا يفعل؟

فجأةً قالت الفتاة: هل أنت قادم من ميلانو؟

رد «أحمد» بثبات: نعم!

ولدهشة «أحمد» الشديدة قالت الفتاة: وهل معك المسروقات؟

لم يردَّ «أحمد» لحظات ثم قال: أيَّة مسروقات؟

الفتاة: المسروقات التي كانت مع القتيل!

أحمد: ليس معي مسروقات لسبب بسيط ... هو أنني لم أَسرق شيئًا ولم أقتل أحدًا!

كان الحديث يدور بين «أحمد» والفتاة، بينما الفتى يقود السيارة دون أن يشترك معهما وكان ذلك مثار دهشة «أحمد» الشديدة.

ابتسمت الفتاة قائلة: تستطيع أن تَثق بنا أنا وكارلو ... إننا من أبناء المهنة.

أحمد: أي مِهنة؟

زمت الفتاة شفتَيها باستنكار، ثم قالت: كل مهنة مُخالِفة للقانون نحن معها ... ومؤقتًا نحن نقوم بتصريف المسروقات ... ألا تَعرف سوق الحرامية في روما؟

أحمد: لم أسمع عنه في حياتي؟

الفتاة: دعك من اللف والدوران ... إننا نُرجِّح أن ما سرقته مما خفَّ حملُه وغلا ثمنُه ... إنه مجوهَرات بالطبع ... وفي هذه الحقيبة بلا شك ... ونحن على استعدادٍ لمُعاوَنَتك فورًا ... المهم أن نرى البضاعة.

أحمد: أُؤكِّد لكِ أنني لا أحمل هذه البضاعة التي تتحدَّثين عنها. والرجل قتله شخص كان يُطاردُه ... ولو أن الشرطة على قدرٍ من الذكاء لعرفَت أن الرجل قد أُطلِقَ عليه الرصاص من الخلف، وأنني كنت في الغرفة، ولم يكن في إمكاني أن أطلق عليه الرصاص بهذه الطريقة.

عند هذه اللحظة انحرفَ الشاب بالسيارة انحرافًا شديدًا مالت معه السيارة على جانبها حتى كادت تنقلب ... وأدرك «أحمد» على الفور أنهما يَنويان الاستيلاء على الحقيبة منه ... فمد يده سريعًا وأخرج مسدَّسه وقال وهو يضعه في صدر الشاب: رغم أنني لستُ لصًّا ولا قاتلًا ... فهذا لا يعني أنني عبيط ... أرجو أن تقود السيارة بانتباهٍ كامل وأن تَعرف أن أيَّ محاولة للغدر بي ستخسر معها رأسك الجميل.

نظرت الفتاة إلى وجه «أحمد» الصارم ... وأدركت أنه يَعني ما يقول ... وسمعها تقول للشابِّ أن يمضي إلى فيرونا، دون أيِّ توقف ... بينما كان «أحمد» يفكر في أنه منذ وضع قدمه في إيطاليا لم يَسترِح لحظة واحدة من مطارَدةٍ أو محاولة قتلٍ ... أو حتى من تهمة ... شيء مُذهل وغريب!

مضت السيارة تشقُّ طريقها على أرض الشارع الناعمة، و«أحمد» يُراقِب كل شيء ... الفتاة والشاب ... والسيارات ... وكلَّما وصلوا إلى مكان مُزدحِم أخفى مسدسه وراء أحد الصحف، وإن ظل مصوِّبه إلى رأس الشاب.

كان «أحمد» يُفكِّر أنه لو كان معه بعض الشياطين؛ «عثمان» ... «إلهام» ... «بو عمير» ... «خالد» لو كانوا معه لعرفوا الآن كيف يَعملون ... ولكنه وحده ... وعليه أن يتصرَّف ... أن يذهب إلى فينسيا ... أن يذهب إلى سانتا كيارا ولا يَعرف ما هي ... وأن يرى «كارميلا» ولا يَعرف من هي ... ربما استطاع في النهاية أن يحصل على المظروف الذي يُريده رقم «صفر».

مضى الوقت والسيارة ماضية تقطع الطريق ... وبعد ساعات لاحظ «أحمد» ازدياد حركة المرور. وعرف أنهم يَقتربون من فيرونا ... كان مُتأكِّدًا أن كارلو لن يذهب إلى قسم الشرطة فهو يخشى الشرطة أكثر مما يخشاها «أحمد» ... ولكن من المُمكِن أن يذهب به إلى عصابة من العصابات التي يتعامل معها ... طمعًا في المجوهَرات المزعومة التي يظن ... كما ظنَّت الفتاة ... أنها معه ...

ازدادت حركة المرور ازدحامًا ... كما ازدادت أفكار «أحمد» ازدحامًا ... كان عليه أن يتصرف سريعًا قبل أن يقع في مصيدة ... خاصةً وقد هبط المساء مبكرًا وسيدخلون فيرونا في الظلام. وأخيرًا استقرَّ رأي «أحمد» على خطة محدَّدة ... وجلس مشدود الأعصاب في انتظار الفرصة الملائمة لتنفيذها.

وجاءت الفرصة عندما توقَّفت السيارة في إشارة المرور في مدخل البلدة، وكان «أحمد» قد فتح الباب بهدوء وانتظر ... وظلَّ ساكنًا هادئًا حتى بدأت السيارة تتحرَّك بعد فتح الإشارة ... وانتظر حتى بدأت السيارة تُسرع وفتح الباب وبحركة بارعة نزل ... وصفق الباب خلفه، وقبل أن يَعرف راكبا السيارة ما حدَث كان «أحمد» قد اندس في الزحام ومشى بسرعة وانحرف في أول شارع قابله.

سار «أحمد» يُفكِّر ... إنه الآن في مدينة العُشاق ... مدينة فيرونا الجميلة ... وبدلًا من أن تكون معه «إلهام» ... فهو وحيدٌ مطاردٌ ... ليس من الشرطة فقط، ولكن من عصابات إيطاليا كلها التي تبحث الآن عن الشابِّ الذي استولى على المجوهرات كما تَظن.

كان عليه أن يتصرف بسرعة ... وكان محتاجًا إلى أن يختلي بنفسه نصف ساعة فقط ... وبعدها يُغيِّر مظهره واختار «أحمد» متجرًا صغيرًا للملابس المستعمَلة كان يجلس على بابه رجل عجوز يبدو نائمًا ... ودون أن يتردَّد تقدم منه ثم دخل المحل. ورفع العجوز إليه عينَين متعبتَين، ثم عاد إلى سباته ... وكانت فرصة «أحمد» الذهبية أسرع يختار بعض الملابس فدخل ... وخلع ثيابه بسرعة ... وارتدى الملابس التي اختارها ... ثم فتَح الحقيبة ... وأخرج أدوات التنكُّر وأخذ يعمل في وجهه ... شارب قصير ... شعر مُتهدِّل على طريقة الهيبيز ... شرائح من البلاستيك الرقيق تُلصَق على العينين تحت الأجفان فتُحوِّلان العينين إلى لونٍ أخضر ضارب للسمرة.

كان يعمل بسرعة وثبات ... فانتهى من كل شيء في أقل من عشرين دقيقة، ثم أخرج جواز السفر الإضافي ... وبه أوصاف مظهره الجديد ... وبقيَ نقلُ ختم وتأشيرات الدخول إلى إيطاليا ... ولم تكن هذه مُشكلة ... فمعه مسطحات صغيرة من مادة خاصَّة ألصقها

على الأختام في جواز سفره الأول، فنقلت الأختام إليها ... ثم أعاد إلصاقها على جواز السفر الثاني فنقَلَت الأختام والتأشيرات إليه ... وهكذا أصبح «أحمد» «ريمون» اللبناني الجِنسية ... ولم يَعُد له علاقة بأحمد المصري ...

وابتسم «أحمد» لأول مرة منذ ترك ميلانو، وأخذ يُحدِّق في المرآة وينادي نفسه: «ريمون» ... «ريمون».

وجمَعَ ملابسه الأولى، واختار كومة من الملابس المستعملة دسها تحتها، ثم شدَّ قامته وخرج من المحل، ورفع الرجل إليه عينَيه المتعبتَين فوضع «أحمد» في يده قبضة كبيرة من الليرات أخذ يعدها في رضًا ... بينما كان «ريمون» ... أو «أحمد» ... يبتعد عن المحل ويَختفي في الظلام.

البحث عن كارميلا

اختار «أحمد» مطعمًا صغيرًا خافت الضوء ودخل ... كان جائعًا لم يتناول لقمة واحدة منذ الساندوتشات التي أكَلَها ليلًا ... وهكذا اختار بعناية طبقًا كبيرًا من الاسباجتي بالصلصة ... وقطعة لحمٍ مشوية، وطبقًا من السلطة الخضراء، وانهمك في التهامها.

وعندما أشرف الطعام على الانتهاء طلب طبقًا من الاسبتزا الإيطالية الشهية الْتَهَمه ثم اضطجع في كرسيه راضيًا سعيدًا ... ثم دفع الحساب، واستقلَّ تاكسيًا إلى محطة السكة الحديد.

قطع «أحمد» تذكرة في القطار الذاهب إلى فينسيا ... ثم تذكَّر أنه قد يَقضي الليل كله في الطريق، فعاد وطلب حجز ديوان مُنفرِد للنوم ... ورغم المبلغ الكبير الذي طلبه الموظَّف فلم يتردَّد «أحمد»، كان في حاجة إلى الراحة بعد هذه المغامرات المتصلة، وأن يكون مُستعدًّا في الصباح لمزيد من المغامرات.

ووقف «أحمد» على المحطة يرقب ما حوله ... ثم اشترى جرائد المساء كلها ... وصعد إلى القطار ... وعندما دخل ديوان النوم خلع ملابسه، ثم تمدَّد على الفراش وأخذ يقرأ ... ولاحظ أن الصحف جميعًا قد اهتمَّت بالحادث ... وقد كانت المعلومات التي قرأها على أكبر جانب من الأهمية.

كانت عناوين الجريمة تأخُذ مساحات واسعة في مختلف الصحف:

«قاتل بنسيون فابريلُّو ما زال مطلق السراح»

«الشاب المطلوب في جريمة بنسيون فابريلُّو ما زال مختفيًا»

لم يهتمَّ «أحمد» كثيرًا بهذه العناوين المثيرة ... فهو لم يَعُد الشاب الذي وُزِّعت أوصافه على جميع أقسام الشرطة ... وفي الموانئ والمطارات ... إنه الآن «ريمون» ذو

العيون الخضراء ... وقد قرر أن يشتري حقيبة أكبر يضع فيها حقيبتَه المهمة ... لتختفيَ بذلك أية آثار يُمكن أن تدل عليه.

وبدأ «أحمد» يقرأ بشغفٍ ما قالته الصحف ... إن القتيل هو رجل العصابات المعروف بـ«بازوليني» ... وشهرته «النمر». وكان «بازوليني» واحدًا من خمسة يُسيطِرُون على تجارة المخدرات في البحر المتوسط ... حتى وقعت بينه وبين بقية رؤساء العصابات خلافات أدَّت إلى انفراد «بازوليني» بالعمل وحدَه ... وقد استطاع أن يُسيطِر بعصابته الجديدة على ثلثَي تجارة المخدرات ... ولكن الزعماء الأربعة الآخرين استطاعوا استمالة أعوان «بازوليني» إليهم ... وفجأةً وجد «بازوليني» نفسه وحيدًا بلا مُعين ... مُطارَدًا من الزعماء الأربعة وقد خسر أمواله كلها.

وهزَّ «أحمد» رأسه مندهشًا: ما دخل رقم «صفر» بهذه الصراعات الرهيبة بين رجال العصابات في إيطاليا ... وهل للمَظروفَين اللذَين كان سيقوم باستبدالهما هو وبازوليني علاقة بكل هذه الأحداث؟

ومضى «أحمد» يقرأ ... وكانت مشكلة «بازوليني» هي أسرته المكوَّنة من زوجته وابنته وابنه الصغير ... فقد كان يخشى أن تقوم العصابات بالانتقام منهم ... وهكذا أخفاهم في أماكن مُتباعِدة ولم تكن الزوجة ولا الابنة ولا الولد يَعلمون بحقيقة عمل «بازوليني» في تجارة المخدرات، وقد كان مُصرًّا حتى النهاية على إخفاء حقيقتِه عنهم.

وتوقف «أحمد» عن القراءة ... فقد طرأت له فكرة معقولة ... كانت هي الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تُفسِّر قصة رحلته إلى إيطاليا ... وحكاية المظروفين ... وهذه المطاردة المميتة.

ومضى «أحمد» يقرأ: وكان معروفًا في أوساط العصابات أن «بازوليني» ينوي ترك إيطاليا كلها بعد أن يَجمع شمل أسرته ... وكانت مشكلته كيف يَخرُج من البلاد والشرطة تراقبه ... وقد تردَّد في أوساط العصابات أنه على صِلة بجهة أجنبية ستُساعدُه على الخروج من إيطاليا إذا سلَّمهم أسرار عصابات التهريب، خاصَّةً التي تُصدِّر بضاعتها السامة إلى بعض البلاد العربية.

ألقى «أحمد» بالصحيفة جانبًا ... لقد تأكَّدَت فكرته ... فالمظروف الذي كان سيُسلمه «بازوليني» إليه لا بد أنه كان يحوي أسماء وأسرار رجال العصابات الأربعة ... والمظروف الذي يحمله الآن في حقيبته فيه ما كان يُمكِّن «بازوليني» من السفر خارج إيطاليا ... والجهة الأجنبية التي تحدَّثَت عنها الصحف ما هي إلا رقم «صفر».

قال «أحمد»: والآن تَعتقد العصابات الأربعة أنني أحمل أسرارهم وأسماءهم ولا بد أنهم سيتبعونني إلى أقصى الأرض ... ورغم أنني لم أَحصُل على أية معلومات ... وكل ما سمعته من «بازوليني» هي ثلاث كلمات لا أعرف حتى الآن إلى أين تؤدِّي بي: فينسيا ... سانتا كيارا ... كارميلا ...

كانت ساعة العشاء قد أزفت ... ولكن «أحمد» كان شبعانًا ... وهكذا قرَّر أن ينام فقد أصبح لا يَدري متى يَنام ... ومتى يأكل ... وعليه أن يَنتهِز الفرصة ويتزوَّد بالنوم، قام فأغلق باب المقصورة التي ينام بها ... وأخرج المسدَّس من الحقيبة ووضعه تحت المخدة وأطفأ النور ... وساد الظلام المقصورة ... وأحسَّ «أحمد» بالراحة تغزو جسده بعد سفر اليوم الطويل ... ومضت عجلات القطار على القضبان في هدوء وبرتابة ... وسرعان ما استغرق «أحمد» في النوم.

استيقظ «أحمد» على ضوء النهار يتسلَّل من النافذة ... ووجد القطار يُبطئ من حركته، وأدرك أنه وصل إلى فينسيا ... فحمل حقيبته وخرج من المقصورة إلى ممرِّ القطار ونظر إلى الخارج ... كان القطار يَدخل المحطة ... وأخذ «أحمد» ينظر حوله ... كان مئات من الركاب يتدافَعون للنزول إلى المدينة العائمة ... وأكثرهم من السوَّاح القادمين من الولايات المتحدة.

خرج «أحمد» من المحطة إلى موقف الأتوبيسات البحرية ... وبالطبع كان يعرف أن المدينة العائمة على الماء ليس فيها إلا الأتوبيسات العائمة، وهي زوارق واسعة تتَّسع لعشرات الأشخاص ... وتحدث «أحمد» مع أحد الواقفين سائلًا عن سانتا كيارا.

قال الرجل: هناك محطَّة سانتا كيارا ... وفندق سانتا كيارا.

أحمد: وهل يَبعدان عن بعضهما؟

الرجل: لا ... إن فندق سانتا كيارا يطلُّ على محطة سانتا كيارا.

ركب «أحمد» الأتوبيس البحري ... كان يشعر شعورًا غامضًا بالخطر ... ولكن لم تكن المخاطر شيئًا جديدًا عليه ... المهم كيف يصل إلى كارميلا؟! ... بل مَن هي «كارميلا» وما هي علاقتها بالمغامرة كلها؟

مضى الأتوبيس يشقُّ طريقه في الجراند كانال ... وهو مجرى المياه الرئيسي في فينسيا وتوقف في بضع محطات قبل أن يَصل إلى سانتا كيارا ... وقفَز «أحمد» بنشاط يَحمل حقيبته، وتوقَّف أمام فندق سانتا كيارا ... ومرة أخرى شاهد مبنى صغيرًا قديمًا ذكَّره

ببنسيون فابريلُّو ... وإن كان فابريلُّو أكبر ... ولاحظ وجود كافيتريا تحت الفندق وبجوارها وقف عدد من باعة الفاكهة ... وفي المياه وقفت عشرات من زوارق الجندول السوداء التي تُشتهر بها فينسيا ... وعلى يسار سانتا كيارا حيث يقف «أحمد» ... كان أحد الكباري الأثرية القديمة التي تَربط بين جزر فينسيا ... وعلى اليسار سُلَّم حديدي مُرتفِع يُؤدِّي إلى بقية المدينة العائمة.

تقدم «أحمد» في هدوء وثقة ودخل الفندق الصغير ... كانت الأشجار المتسلِّقة تُغطي واجهته ... ورائحة الأسماك تملأ المكان ... فقد كان الجزء الأسفل منه مطعم صغير ... وكان بمفارشه البيضاء والزهور المتناثرة في جوانبه يغري بالأكل.

قدم جواز سفره إلى الرجل العجوز الذي جلس على منصَّة الاستقبال ... وقال الرجل باسمًا: هل تختار غرفة على الكانال؟ ... إنها تُكلِّفكَ زيادةً قليلة ... ولكنها تجعل رحلتك ممتعة.

وافق «أحمد» على الزيادة، وحمل حقيبته وصعد ... لم يكن هناك مصعد ... فقد كان الفندق كله مكونًا من طابقين فقط ... ووجد غرفته سريعًا فدخل ... كانت غرفة نظيفة واسعة ... بها سريران ... ونافذتها عالية ... وفتح النافذة على مشهد طبيعي جميل ... الورود على طرف النافذة ... والأشجار المتسلِّقة حولها ... وأمامه على بُعد أمتار قليلة كانت الشمس الشتوية الهادئة تتألَّق على المياه ... والجندول الأسود يَحمل عُشاق فينسيا إلى مختلف أنحاء المدينة العائمة ... وقال «أحمد» مبتسمًا: لو كنتُ مكان شكسبير لاخترتُ هذا المكان لروميو وجولييت!

نظر في أركان الغرفة ... كان يَبحث عن مكانٍ يُمكن أن يُخفيَ فيه حقيبتَه ... ولكن لم يكن هناك سوى دولاب قديم ... واختبر أدراجه ... وعرف أنه من المُمكن أن تفتح بقطعة من السلك بمنتهى البساطة ... ولم يكن أمامه إلا أن يُخرج المظروف فيضعه في أحد جيوبه الداخلية ... وكذلك المسدس ... وهكذا لم يبقَ في الحقيبة ما يخشى عليه.

أغلق باب الغرفة ونزل إلى الكافيتريا ... كانت المشكلة هي البحث عن كارميلا ... وكان يجب أن يكون حذرًا ... إنَّ العصابات الأربعة تبحث عنه ... والشرطة ... وقد تكون كارميلا هذه مراقبة سواء أكانت مكانًا أو شخصًا.

وفجأةً خطرت له الفكرة الوحيدة المعقولة ... أن يبرق إلى الشياطين ليحضر عدد منهم لمساعدته في البحث عن كارميلا ... إنَّ فتاة مثل «إلهام» أو «زبيدة» لا يُمكن أن تلفت الأنظار.

لم يكن مكتب البريد والتلغراف بعيدًا عنه ... وهكذا أسرع إلى هناك ... وأملى برقية تبدو في مظهرها عادية جدًّا ... ولكنه استطاع أن يضع فيها أهم المعلومات التي يُريد إيصالها إلى رقم «صفر» ... ويَطلُب في نفس الوقت حضور «عثمان» و«إلهام» و«زبيدة».

وقال «أحمد» في نفسه وهو خارج من المكتب: سنكون أربعة في مواجهة أربع عصابات وهذا معقول أكثر! ... واشترى صحف اليوم، وجلس على الجراند كانال يقرأ ويشرب كوبًا من الشاي الساخن.

ووجد اهتمام الصحف بالجريمة ما زال مُستمرًّا ... وقرأ شيئًا بعث الاضطراب في نفسه فقد روى بعض الشهود لرجال الشرطة أنهم شاهَدُوا شخصًا تنطبق عليه أوصاف «أحمد» في مدينة فيرونا.

ومضت الصحيفة تقول: وتقوم قوات كبيرة من رجال الشرطة بالبحث عن الشاب ويُرجِّح المحقق «غيتا» المسئول عن الحادث أن الشابَّ قد اتجه جنوبًا ... وأنه ربما يوجد في أحد الموانئ محاولًا الفرار من إيطاليا.

وطوى «أحمد» الصحيفة وهو يحسُّ أن أنظار كل الناس تتجه إليه.

أغنية دافئة ... ولكن ...

ابتسم «أحمد» وهو يسير على شاطئ الجراند كانال ... كانت الشمس مشرقة رغم موسم الشتاء ... وكان سبب ابتسامته أنه وجد نفسَه يقع في مصيدة الخوف والتوقُّع، وقد تدرب كثيرًا على اجتياز مثل هذه الصعاب ... وهو في نفس الوقت في انتظار وصول الشياطين ... «عثمان»، و«زبيدة» ... و«إلهام» ... وعندما يصلون يُصبح الأربعة قوة من الصعب التغلب عليها ...

وعندما وصل تفكيره إلى هذا الحد ... أحسَّ بنوع من الرضا، وأخذ يتجول سعيدًا بين المحلات ... ثم عبر أحد الجسور وانطلق في اتجاه ميدان سان ماركو الشهير ... حيث يتجمَّع السياح من جميع أنحاء العالم للتفرُّج على الكنيسة الرائعة هناك.

وصل إلى ميدان سان ماركو ... وكانت فرقة موسيقية تعزف أمام أحد الكازينوهات فاختار كرسيًّا وجلس. وطلب قدحًا من الشيكولاتة الساخنة ... وجلس يستمع للموسيقى وقد مدَّد أمامه قدميه مُستمتعًا بشمس الشتاء الدافئة ... وعزفت الفرقة لحنًا راقصًا ... وقام عدد من الشبان والشابات يَرقُصون ... كانت موسيقى دافئة هادئة ... سمعها «أحمد» مرارًا منذ جاء إلى إيطاليا ... ومضى الشباب يَرقُص وتمنَّى «أحمد» لو أن «إلهام» كانت موجودة، وأنهما رقصا معًا هذه الرقصة.

وانتهت الموسيقى ... وبدلًا من أن تَنتقِل الفرقة إلى مقطوعة أخرى ارتفع هتاف الشباب يطلب إعادة نفس القطعة صائحين: كارميلا! كارميلا! ... وانتبه «أحمد» من أحلامه اللذيذة على أصوات الشباب وهي تَطلُب إعادة المقطوعة الموسيقية ... كارميلا؟ انتبه «أحمد» وقفزت إلى ذهنه صورة «بازوليني» وهو ملقًى على الأرض يقول له: فينسيا ... سانتا كيارا ... كارميلا.

لقد وصل إلى فينسيا ونزل في فندق سانتا كيارا ... وها هي كارميلا في النهاية ... قطعة موسيقى ... فماذا يعني «بازوليني» بها ... وما هي دلالتها بالضبط ... هل هي كلمة سر؟ هل هو اسم شخص؟ ... أم هي مقطوعة موسيقية فقط؟ كان عليه أن يجد إجابة سريعة ومحقَّقة ... واستدعى الجرسون بإشارة من يده وقال: إنها مقطوعة جميلة!

رد الجرسون بأدب: نعم يا سيدي ... وصاحبتُها أجمل منها.

أحمد: صاحبتها؟

الجرسون: نعم ... المطربة الشابة «كارميلا» ... لقد سموا الموسيقى باسمها لأنَّها تُغني عليها كل ليلة في كازينو الليدو.

شكر «أحمد» الجرسون ودفع له الحساب مع منحة سخية ... ثم قام من مكانه يمشي ... كان في حاجة لأن يَهضم هذه المعلومات الجديدة وأن يستفيد منها ... ولكن هل «كارميلا» المطربة الشهيرة هي المقصودة؟ وماذا يقول لها؟ واستقر عزمه على أن يذهب إلى الليدو في الليل ... ومر بأحد محلات الملابس فاشترى ملابس مناسِبة للسهرة، ولم ينسَ شراء قبعة أنيقة يخفي بها جزءًا من ملامحه.

قضى «أحمد» بقية اليوم في الفندق ... وتغدَّى جيدًا، ثم نام نومًا هادئًا طويلًا استيقظ منه وهو أشد ما يكون نشاطًا ... وكانت شمس الشتاء قد أسرعت إلى الاختفاء وهبط الظلام سريعًا على فينسيا.

لبس «أحمد» ثيابه، وتأنق بقدر ما يستطيع، ثم وضع المظروف في جيبه، ومسدسه في جيبٍ آخر، ولم ينسَ أن يأخذ جواز السفر الثاني باسم «ريمون» ثم نزل من غرفته ولم يترك مفتاح الغرفة كالمعتاد ... فلعلَّه مُراقَب ... وقد يتمُّ تفتيش غرفته في غيبته ... وإن كان يدرك أن في كل فندق مفتاح عام يفتح جميع الغرف، إلا أنه فعل ما فعل على سبيل الاحتياط.

اختار جندولًا من المرسى المُواجِه للفندق ونزل فيه، ثم قال للبحار: كازينو الليدو من فضلك.

جلس «أحمد» في نهاية قارب الجندول الأسود الطويل، وأخذ البحار الفارع الطول يُجدِّف، كانت الأمواج مُرتفعة نسبيًّا، ولكن البحار الماهر استطاع أن يمضي بالجندول في هدوء ... وكانت أضواء فينسيا على الجانبين تبدو كعيون ذهبية تلمع في الظلام ... وكان «أحمد» يفكر في الساعات القادمة وما يمكن أن تحمل له من أخبار ... وربما أحداث ... ولكنه كان مُصرًّا على أن يعرف ما هي حكاية «كارميلا».

وصل إلى كازينو الليدو ... كانت الأضواء تلمع على واجهته ... وقد كُتب بالضوء الأحمر كارميلا ... ودفع «أحمد» حساب الجندول ... ثم قفز إلى الشاطئ ... وقف لحظات أمام المبنى القديم ... إنه أحد القصور القديمة في فينسيا وقد تحوَّل إلى ملهًى محتفظًا بعراقته وأصالته.

كان «أحمد» قد وصل مبكرًا فلم يكن هناك إلا عدد قليل من الزبائن قد جلسوا على شرفة الليدو ... فاختار «أحمد» كرسيًّا وجلس ... ووجد نفسه يُحدِّق في المياه التي انعكست عليها عشرات الأضواء وهو يُفكر ... كيف يتصل بـ «كارميلا»؟ هل يُرسِل لها وردًا ومعه بطاقة صغيرة باسم «بازوليني»؟ هناك احتمالان ... ألا تقرأ البطاقة ... أن يقرأ شخصٌ آخر اسم «بازوليني» ... وهذا يعني شيئًا كثيرًا ... إنه رجل عصابات قُتل في ظروف غامضة ... والشرطة تطارد قاتله ... وهو المتهم الأول، لا داعي إذن للورد!

هل يمكن أن يقترب منها ويهمس في أذنها باسم «بازوليني»؟ ما هي ردود الفعل؟ هل تنكر أنها تعرفه؟ ... من الجائز جدًّا أنها لا تعرفه ... ومن الجائز أن تُنكِر بعد أن انتهت حياة الرجل.

مشكلة!

وقد لا تكون «كارميلا» المُطربة هي كارميلا المقصودة في حديث الرجل الميت ...

وأخذ ينظر إلى صورة «كارميلا» الكبيرة الموضوعة تحت الأضواء الباهرة في مدخل الكازينو ... وشعر شعورًا غامضًا أنَّ وجهها مألوف له ... لقد رآه من قبل.

أخذ يقدح زناد فكره ... ولكن عبثًا ... وعاود النظر إليها ... إنَّ الوجه ليس غريبًا عنه جدًّا إنه رآه بالتأكيد من قبل ... ولكن متى؟ وكيف؟ وأين؟

وبدأ الرواد يدخلون الكازينو بعد أن اشتدَّ البرد ...

كانت قاعة الليدو الداخلية المكيَّفة الهواء غاية في الفخامة ... والتماثيل القديمة لفرسان العصور الوسطى تُضفي جوًّا سحريًّا على المكان ... واختار «أحمد» مائدة منعزلة وجلس ... وكانت فرقة الموسيقى تعزف ألحانًا هادئة ... وقام عدد من الراقصين إلى حلبة الرقص ... ومرةً أخرى تذكر «أحمد» «إلهام» ... وغاب في أحلامٍ وتمنيات ... أفاق منها على الجرسون وهو يَنحني له ... فطلب عشاءً ... ثم مضى يتذكر وجهَ «كارميلا» ... الذي يتخيَّل أنه رآه من قبل ومضى الوقت سريعًا ... وجاءت اللحظة المهمة في الليلة كلها ... وأعلن قائد الفرقة الموسيقية أن «كارميلا» ستَظهر بعد لحظات قليلة ... انتشرت أحاديث سريعة بين الحاضِرين.

عزفت الموسيقى لحن «كارميلا» ... وصفَّق الناس طويلًا ... ثم انطلق شعاع من الضوء سقط على الحلبة وظهرت فجأةً «كارميلا» تُمسك بالميكروفون الصغير بين يدَيها وانطلقت تغني.

كانت «كارميلا» طويلة القامة ... يتمثل فيها الجمال الإيطالي بكل معانيه ... رقيقة ولكن صوتها كان قويًّا رائعًا ... واستغرق «أحمد» تمامًا في الاستماع حتى نسيَ المهمة التي جاء من أجلها ... ولكن نسيانه لم يَطُل ... فقد أحسَّ بحركة في نهاية الصالة ... وسمع صوت أقدام كثيرة مقبلة ... ولاحظ على الفور أن هذه الحركة شدَّت انتباه «كارميلا» ... فقد اضطربت قليلًا ... والتفت «أحمد» إلى الخلف وعرف على الفور السبب ... كان أربعة من الرجال يتقدَّمون ليجلسوا إلى مائدة محجوزة ... وخلفهم عدد آخر من الرجال ... وعرف «أحمد» دون مشقَّة من هم الأربعة ... فقد كانوا رؤساء العصابات الأربعة التي اختلف معها «بازوليني»، وقد ارتسمت على وجوههم علامات الشر والغدر.

كان الأربعة في غاية الأناقة ... وثلاثة منهم يُدخِّنون السيجار ... وهم لم يهتمُّوا بالأغنية الجميلة ... فقد كانوا يتحدَّثون بأصوات مُرتفِعة ... ويضحكون ... وأحسَّ «أحمد» بالدم يندفع إلى رأسه ... وتمنى أن يقوم فيَصفع كلًّا منهم على وجهه ... ولكنه كان يُدرك أن أي اشتباك الآن معناه نهاية مهمَّته ... وربما نهايته.

مضت «كارميلا» تُغني ... ولكن «أحمد» فقد قدرتَه على الاستمتاع ... فقد توتَّرت أعصابه ومضى يرقب الأربعة ... وفجأةً خطر له خاطر ... إن اهتمام «كارميلا» واضطرابها عند حضور الأربعة يعني أنها على صلة ما بهم ... إنها تَخشى شيئًا منهم ... وإن رسالة «بازوليني» لها علاقة بهذه الفتاة الرقيقة.

ولكن ما هو نوع هذه الصلة؟

كان عليه أن يجيب على هذا السؤال ... أو يعثر على إجابته ... وانتهت «كارميلا» من أغنيتها وانسحبت بين تصفيق الجمهور ... وأعلن المذيع أنها ستُغني مرة أخرى عند نهاية السهرة.

مضى الرجال الأربعة يضحكون ... ثم أشار أحدهم إلى أحد رجاله وهمس في أذنه ببضع كلمات ... وانصرف الرجل مسرعًا ... ولا يدري «أحمد» ماذا دفعه لأن يقوم هو الآخر ويلحق بالرجل ... هل كان إلهامًا داخليًّا ... أم كانت لحظة اندفاع؟

المهم أنه مشى خلف الرجل ... عبر الصالة الواسعة إلى ممرٍّ مغطى بالسجاد الأحمر وقد انتشرت فيه الأضواء الخافتة ... وسار الرجل وخلفه «أحمد» حتى وصل إلى غرفةٍ دقَّ

بابها. ودخل الرجل وأغلق الباب خلفه ... ووقف «أحمد» أمام الباب متردِّدًا بين الدخول والانصراف ... ولكن فجأة سمع ما جعله يدفع الباب ويدخل ... لقد سمع صرخةً خافتة تصدر من داخل الغرفة ... صرخة فتاة تتألم ... ولم يتردَّد ... دفع الباب ودخل ... ووجد الرجل يُمسِك «كارميلا» من ذراعها ... ويحاول جذبها خلفه ... وهي تُحاول مقاومته عبثًا ... نظر الرجل إلى «أحمد» باستهتار ... ومضى يجرُّ الفتاة.

ووقف «أحمد» في طريقه ونظر إليه ... وقال الرجل بضيق واحتقار: ابتعد عن طريقي!

رد «أحمد» بجمود: اترُك الآنسة!

توقف الرجل عن جذب الفتاة، وإن ظلَّ مُمسكًا بذراعها وقال: مَن أنت أيها الحشرة؟

قال «أحمد» بهدوء: سأَتجاوز عن ألفاظك غير المهذبة ... وأُكرِّر طلبي لك أن تترك الآنسة وشأنها.

ترك الرجل ذراع «كارميلا» ووقف في مواجهة «أحمد» وشرر الغضب يتطاير من عينيه.

لقاء مع حسناء

كان شابًّا طويل القامة ... غزير الشعر ... له لحية صغيرة متَّصلة بشارب ... وفي عينيه نظرة خائنة شرِّيرة، ورفع قبضته بسرعة وهوى بها على وجه «أحمد»، ولكن «أحمد» هزَّ رأسه ببساطة فطاشت اللكمة ... وكاد الشاب يفقد توازنه ويسقط على الأرض لولا أن تَمالك نفسه، ودار على عقبيه وقد أدرك أنه في مواجهة خصمٍ لا يستهان به.

كانت «كارميلا» تقف في طرف الغرفة شاحبة الوجه ترقب الصراع وعيناها معلقتان على «أحمد» في إشفاق ... فقد كانت تظن أن رجل العصابات سوف يبطش به سريعًا ... وتقدم الرجل مرة أخرى من «أحمد» ... وفجأةً أخرج من جيبه مطواة ضخمة ضغط يدها فاندفع منها نصل طويل ... وحرَّك المطواة يمينًا ويسارًا بسرعة. وكان «أحمد» يعرف أن هذه الحركة المقصود بها تشتيت انتباهه ... فهذه أشياء درسها في المقر السري، ومرَّ بمئات التجارب، لهذا ظل مثبتًا عينيه على وجه الرجل الذي ارتبك قليلًا عندما فشل في هزِّ ثقة «أحمد» بنفسه ... وفجأةً انقض على «أحمد» بالمطواة ... وقام «أحمد» بحركتين في وقت واحد ... قفَز جانبًا وأطلق قدمه في ضربة موجعة أصابت بطن الرجل ... فانكفأ على وجهه ... وكانت الحركة الثالثة ضربة قوية من يد «أحمد» على رقبة الرجل قبل أن يَسقُط على الأرض ويغيب عن الوعي.

نظرت «كارميلا» إلى «أحمد» في ذهول ... لم تُصدِّق أن هذا الشاب النحيل يمكن أن يصرع هذا الثور الضخم ... ورغمَ الشارب الذي يضعه «أحمد» ... فقد كان واضحًا أنه صغير السن ... وتقدمت «كارميلا» منه وقالت في صوت مبحوح: لماذا فعلتَ هذا؟

رد «أحمد» في ثبات: ألم يكن هذا واجبًا؟

كارميلا: ولكن بقية الرجال سوف يأتون الآن ... ولن يَتركُوك تُغادر هذا المكان حيًّا!

أحمد: ماذا كان يُريد منك؟

تردَّدت الفتاة لحظة واحدة ثم قالت: لا شأن لك بهذا ... انصرف فورًا قبل أن يراك بقية الرجال.

أحمد: لن أتحرَّك خطوة واحدة قبل أن أنجز المهمة التي جئت من أجلها.

كارميلا: أية مهمة؟

أحمد: إني قادم من طرف ... «بازوليني».

فتحت الفتاة عينَيها في دهشة وفزع وقالت دون أن تعي: «بازوليني»؟

أحمد: نعم.

كارميلا: ولكن «بازوليني» ... قتل!

أحمد: أعرف ... وأنا المتَّهم الأول في قتله.

صاحت «كارميلا»: أنت الذي قتلتَه؟

أحمد: لقد قلت لك إنني المتهم ... ولم أقل إنني القاتل ... إنني لم أمسَّ شعرة في رأس «بازوليني» ... ولكنَّني آخرُ شخصٍ شاهده حيًّا.

كارميلا: أنت الشاب الذي يبحث عنه رجال الشرطة؟

أحمد: نعم.

كارميلا: ولكن أوصافك لا تَنطبِق على أوصاف الشاب الذي كان في بنسيون فابريلُّو ... المتهم بقتل أبي.

أحمد: أبوكِ؟

أغمضت الفتاة عينَيها ... وأدرك «أحمد» على الفور أين رآها ... إنه لم يرَها ... ولكن رأى «بازوليني» أباها ... وهي تُشبهه بالضبط.

أحمد: لقد قال قبل أن يموت ثلاث كلمات ... فينسيا ... سانتا كيارا ... كارميلا ... وقد وجدتُ فينسيا ... وسانتا كيارا ... وها أنا ذا أجدك. فماذا عندَكِ؟

كارميلا: هل أنت الرسول القادم من لبنان؟

أحمد: نعم.

كارميلا: ومعك المظروف؟

أحمد: نعم ...

وقبل أن تفتح «كارميلا» فمها سمعا صوت أقدام تَقترب من الباب ... ثم سمعا دقًّا قويًّا وقالت «كارميلا» مشيرة إلى النافذة: أسرع ... من هنا.

كارميلا: سأتَّصل بك.

وأسرع «أحمد» إلى النافذة فاجتازها إلى شرفة واسعة ... وقفَز من الشرفة إلى الأرض وأسرع مُبتعدًا في الظلام ... توقف بعد فترة ... وأخذ يَستمع ... كانت الأمواج ترتطم بالبيوت في قوة فقد بدأت الريح تشتد ... ولم يكن في إمكانه أن يستمع إلى شيء آخر ... ولكن فجأة أحس بأعصابه تتوتَّر وأدرك أنه متبوع.

التصق بجدار أحد البيوت ... ووقف ينصت ... لم يكن هناك أي صوت ... ولكن فجأةً على ضوء النوافذ الملوَّنة شاهد رجلين يَجريان ... وقد شهَرَ كلٌّ منهما مسدسًا في يده ... وتساءل ... هل وشت به «كارميلا»؟ إنه يَستبعِد ذلك ... ولكن لعلها اضطرَّت لذلك تحت ضغط ... ووقف ثابتًا لا يتحرك ... واختفى الرجلان ... وفجأة من زقاق مجاور برز أحد الرجلين ووقع بصره على «أحمد» ... كانت ثانية رهيبة يكسب فيها الأسرع ... وكان «أحمد» هو الأسرع ... كانت أمامه عمارة تُبنى حديثًا فاندفع إليها ... واندفعت في نفس الوقت بجوار أذنه رصاصة ضاع صوتها في عصف الريح.

دخل «أحمد» العمارة ... كانت قد أوشكَت على الانتهاء ... وقد غُطِّيَت من الخارج بغطاء من البلاستيك وهو شيء أدهشَه وأعجبه ... ومضى يجري بين الحجرات ... وكان يعرف أن أكثر البيوت لها بابان يفتح كلٌّ منهما على أحد قنوات فينسيا ... فأخذ يبحث عن الباب الآخر.

كان الظلام يسود المكان ... ولم يكن من السهل أن يعرف إلى أين يتجه ... فتوقف يستمع وقد ارتفع صوت دقات قلبه ... ويبدو أن المُطارِد أيضًا كان يستمع فلم يكن هناك صوت على الإطلاق.

مضَت دقائق ... وخشيَ «أحمد» أن ينضم الرجل الآخر إلى زميله ... وتصبح مهمة ابتعاده صعبة فبدأ يتحرَّك مرةً أخرى ... وسرعان ما عثر على الباب الآخر ... وبدأ يقترب في هدوء وحذر ... ولكن قطعة من الخشب على الأرض ارتطمت بقدمه وأحدثت صوتًا واضحًا وسرعان ما أزَّت رصاصة ثانية بجواره، ثم اندفع «أحمد» إلى الخارج فقد كان الرجل قريبًا منه. وفي نفس الوقت اندفع الرجل بسرعة ... وكانت فرصة ليُجرِّب «أحمد» أحد الحركات البهلوانية التي تعلمها الشياطين ... فقد ثنى ركبتيه ... ورفع يديه إلى فوق ... واستفاد من اندفاع الرجل ناحيته فرفعه بين ذراعَيه ثم ألقاه بكل ما يملك من قوة خارج الباب ... وسمع صوتَ وقوعِه في المياه ... وخرج «أحمد» من الباب مسرعًا ... وانحرف في أقرب شارع قابله ... وأطلق ساقيه للريح ...

لم يتوقَّف إلا عندما أصبح على مقربة من محطة الأتوبيس العائم ... فأصلح ملابسه ثم تقدم في هدوء وركب الأتوبيس ... كان عدد الركاب قليلًا في هذه الساعة المتأخِّرة من الليل وفي هذا الجو العاصف ... واختار «أحمد» مقعدًا في نهاية الأتوبيس وجلس.

كان شريط الأحداث التي مرَّ بها منذ نزل أرض إيطاليا حافلًا ... حتى إنه لم يُصدِّق أن كل شيء قد حدث خلال ٤٨ ساعة فقط ... وبعد أن كان يَعتبر مهمَّته في إيطاليا مجرد نزهة ... أصبح يراها أشد مغامراته خطورة وعنفًا.

وصل الأتوبيس إلى محطة سانتا كيارا ... وصعد «أحمد» إلى المرسى الخشبي ومضى إلى الفندق الصغير الذي كان قد أغلق أبوابه ... وخوفًا من أن يكون متبوعًا، تجاوز الفندق ومشى مبتعدًا حتى نهاية الشارع وهو يَرقُب بزاوية عينه ما يدور خلفه ... ولكن لم يكن هناك أحد ... وهكذا عاد ... ودقَّ جرس الباب ... وبعد فترة فتح له البواب ... فصعد إلى غرفته وفتح الباب، ثم أخرج مسدسه، واندفع داخلًا ... ولكن لم يكن هناك أحد ...

خلع ثيابه ولبس ملابس النوم، وجلس على الفراش قليلًا ثم قام ووضَع كرسيًّا خلف الباب بحيث يقع إذا حاول أي شخص اقتحامه ... ثم تمدَّد على الفراش وذهب في سبات عميق.

استيقظ «أحمد» في صباح اليوم التالي نشيطًا ... فاغتسل ... وأعاد وضع الماكياج على وجهه ليبدو في شكل «ريمون» كما هو في جواز السفر ... ثم نزَل إلى صالة الطعام بعد أن أخذ معه المظروف المغلق ومسدسه ... وطلب إفطارًا شهيًّا تناوله في سعادة ... ثم خرج وجلس على الكازينو الذي يتبع الفندق ... واستعرض الأحداث كلها ... ووجد أنه يُمكن تفسير كل ما حدث إلا شيئًا واحدًا. لماذا اختار له «بازوليني» أن ينزل في سانتا كيارا؟!

لم يجد إجابة تُقنعه على هذا السؤال ... وانتهى من تناول الشاي وقرر أن يذهب إلى ميدان سان ماركو.

استقلَّ الأتوبيس البحري مرةً أخرى ... ووجد نفسه بعد ربع ساعة يتجول في الميدان الفسيح، على يَمينه كنيسة سان مارك الشهيرة ... ببرجها العالي ... وعلى يساره القصر القومي الذي تتناثر تحته محلات بيع التحف ... وفي الميدان كان عدد من الرسامين الشبان يَرسُمون من يشاء مقابل بضع ليرات ... ومضى «أحمد» يتفرج عليهم ... وأحسَّ فجأة بعينين ترمقانه بين مئات من السائحين ... ورفع بصره إلى حيث كانت صاحبة العينين التي لم تكن سوى «كارميلا».

كانت تلبس بنطلونًا أزرق بلون ماء البحر ... وقميصًا أصفر في لون الليمون وقبعة صغيرة وقد أخفَت وجهها خلف نظارة كبيرة ... وبدا واضحًا أنها تُحاول إخفاء شخصيتها الحقيقية.

التقت عيناهما ... ثم مضت «كارميلا» تسير ... وسار خلفها «أحمد» من بعيد، كان متأكدًا أنها تريد أن يتبعها ففعل ... ومضت «كارميلا» تتجوَّل بين المحلات ... ثم دخلت محلًّا لبيع الدانتيلا التي تشتهر بها فينسيا ... ووقف «أحمد» أمام المحل لحظات متظاهرًا بالتفرج على المعروضات في انتظار خروجها ... وفجأةً شاهد سيدة في منتصف العمر ... حسناء رغم سنها ... تخرج من المحل وتقول له: لا يستطيع السنيور أن يَجد أشياء جميلة بالداخل.

أدرك «أحمد» على الفور أنها رسالة موجَّهة إليه ... فدخل المحل ... ولم تكن «كارميلا» موجودة ... ولكن السيدة انتظرت حتى انصرف أحد الزبائن الذي كان يَشتري بعض الدانتيلا ثم أشارت إلى ستار من الخرز الملوَّن فمضى «أحمد» إليه وأزاحه ... وفي غرفة صغيرة وجد «كارميلا» تجلس على كرسي كبير، وقد خلعَت نظارتها.

لماذا سانتا كيارا؟

قالت «كارميلا» على الفور: إنني أريد أن أعرف من الذي قتل أبي؟

رد «أحمد» وهو يَجلس في مواجهتها في الكرسي الثاني: الحقيقة أنني لم أره ... وما حدث بالضبط أنني كنتُ في انتظاره في غرفتي ... والإشارة المتَّفق عليها كانت ثلاث دقات وكلمة واحدة هي «سولو» ... وسمعت صوت أقدام أمام الباب، ثم سمعت الدقات الثلاث، وأسرعت أفتح الباب، وفوجئت به يقول كلمة السر ثم يَسقُط على وجهه، وأدركت أنَّ شخصًا خلفه أطلق عليه رصاصة من مسدس كاتم للصوت، وأسرعت أُدخلُه غرفتي وأحاول إسعافه ... ولكنه كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة ... ولم يقل لي سوى: فينيسا، سانتا كيارا، كارميلا.

وسكت «أحمد» لحظات، لم تتكلَّم «كارميلا»، كانت تستمع إليه بعينين مفتوحتَين ولكنها لم تكن تراه، ومضى «أحمد» يقول: ولم يكن أمامي بعد ذلك إلا الفرار ولكنِّي قبل أن أفعل ... فتشت ملابسه ولم يكن المظروف المطلوب معه.

لم تردَّ «كارميلا» ومضى «أحمد» في حديثه: لم يكن أمامي إلا الفرار خوفًا من التعقيدات إذا دخل رجال الشرطة وخوفًا من القتل إذا وصَل القاتل إلى الغرفة ... وقد طاردُوني مطاردة عنيفة حتى وصلت إلى مدينة فيرونا وهناك غيرت ملابسي وملامحي وجئت إلى فينسيا.

نطقَت «كارميلا» لأول مرة قائلة: هل تَعرف نوع المهمة التي جئت من أجلها؟

أحمد: لا ... ولكن عندي بعض الاستنتاجات فقط ... لقد كان المطلوب منِّي أن أُسلِّم مظروفًا وآخذ مظروفًا آخر ... وأعود إلى بلادي ... ومعي المظروف ... وأريدُ المظروف الآخر.

كارميلا: إن أربع عصابات من أعتى عصابات التهريب والقتل تُحاول العثور على المظروف الذي جئت من أجله ... وهم يضغطُون عليَّ بكل قوتهم لأنهم يظنون أن المظروف معي.

أحمد: وهل هو معك حقًّا؟

كارميلا: لا ... ولكنَّني أعتقد أني أعرف مكانه.

أحمد: وهل تُساعدينني في العثور عليه؟

كارميلا: ما دامت هذه كانت رغبة أبي فسوف أُنفِّذها ... لقد أخبرني عن تبادل المظروفين ... وقال إن هذه العملية ستَحلُّ مُشكلة إلى الأبد وبعدها يختفي «بازوليني» ... رجل العصابات ... ويظهر شخص آخر جديد لا علاقة له بالتهريب.

أحمد: وماذا فعلتِ أمس بعد أن غادرتك؟

ابتسمت «كارميلا» لأول مرة وقالت: لقد نسيتُ أن أشكركَ لأنَّك ضربت هذا الخنزير في غرفتي ... وعندما حضر زملاؤه قلتُ لهم إنني فوجئتُ بك في غرفتي وإنني لا أعرفك، وهكذا طاردوك.

أحمد: وكيف عرفتِ أنني سأحضر إلى سان ماركو؟

كارميلا: إنَّ كل الغرباء في فينسيا يترددون على ميدان سان ماركو وقد فكرت أنك سوف تأتي كبقية الناس. وقد فعلت.

أحمد: وما هي خطوتك التالية؟

كارميلا: لا أدري بالضبط ... ولكنَّني أعتقد أن المظروف الذي جئت من أجله موجود في سانتا كيارا.

أحمد: في الفندق؟

كارميلا: نعم.

أحمد: كيف؟

كارميلا: لقد كان فندق سانتا كيارا على بساطتِه هو مكان أبي المفضل عندما ينزل في فينسيا ... لأن صاحب الفندق صديق قديم لأبي ... ولا أستبعد أن يكون مشتركًا معه في بعض عملياته ... وهذه حقيقة لا يعلمها إلا أنا ووالدتي ... صاحبة هذا المحل.

كانت هذه معلومة جديدة على «أحمد» ... فنظر إلى «كارميلا» التي أسرعت تقول: لقد انفصلَت أمي عن أبي عندما علمَت بنشاطه السرِّي ... وانضممتُ إليها ولكنَّني ظللت أزور أبي وأراه ... فقد كنتُ أحبه جدًّا.

وصمتت «كارميلا» قليلًا ثم قالت: اترُك لي فرصة للتفاهم مع «جياكومو» صاحب فندق سانتا كيارا ... قد يكون المظروف عنده. وسأتصل بك في الفندق ... أو تأتي هنا فتجد رسالةً منِّي عند والدتي.

وقفت «كارميلا» ... فوقف «أحمد» وقالت: ستُغادر أنت المحل أولًا.

ومشى «أحمد» مسرعًا ... كان هناك بعض الزبائن يتناقشون مع الأم السيدة العجوز، فأحنى لها «أحمد» رأسه مودِّعًا ثم خرج.

كان الميدان الكبير مزدحمًا بالسائحين ... ومشى «أحمد» يُفكِّر فيما سمع ... هذه أول مرة يشتبك في مغامرة فيها هذا الجانب الإنساني ... أسرة مزَّقتها الخلافات ... وأبٌ ميِّت ... وأرملة تدير محلًّا ... وأربع عصابات كاملة تُطارد مُطرِبة صغيرةً ناجِحة ... شيء غريب في بلد غريب ... ووجد نفسه يصل إلى الفندق ماشيًا عبر الكباري الصغيرة المُقامة على القنوات التي تقوم مقام الشوارع في المدينة العائمة.

وعندما اقترب من الكازينو الخارجي للفندق سمع ما لم يتوقعه في هذه اللحظة مطلقًا ... صوت «إلهام» تَصيح: ها هو!

ورفع رأسه ووجد الشياطين الثلاثة ... «إلهام» و«زبيدة» و«عثمان» يجلسون على شرفة الكازينو ... وأحس بفرحٍ طاغٍ لم يَسبق له أن أحسَّ به ... وانطلق يجري إليهم ... وتبادلوا جميعًا السلام بحرارة ... وجلس «أحمد» قائلًا: ولكن كيف عرفتموني؟

قالت «إلهام» مُبتسِمة: لو وضعت عشرة شوارب وصبغت وجهك باللون الأزرق ولبست ملابس فتاة لعرفتُك ... ولكن المهم لماذا أنت متنكر؟

أحمد: إنها قصة طويلة ... ولأسألكم أولًا كيف وصلتم بهذه السرعة؟

إلهام: إنَّ رقم «صفر» اهتم جدًّا بالمعلومات القليلة التي أرسلتها ... وطلب منا السفر أسرع ما يمكن ... وقد وجد عم «سرور» طائرة تُغادر بيروت في الخامسة صباحًا إلى روما ... ووصلنا في التاسعة تقريبًا ثم ركبنا طائرةً أخرى من الخطوط الداخلية.

أحمد: لقد كنتُ في أشد الحاجة إليكم. إن حكاية تسليم المظروف الأبيض ... وتسلُّم مظروف آخر مكانه قد انتهت إلى مغامَرة مُثيرة فيها أربع عصابات متصارعة ... وفتاة صغيرة جميلة، موضع هذا الصراع كله ...

قالت «إلهام» بسخرية: وبالطبع أنت الفارس الشجاع الذي سيتدخَّل لإنقاذ الفتاة الجميلة المظلومة.

أحمد: بالضبط ... لقد أنقذتُها مرة ... ولكن لا أدري ماذا سيحدث بعد ذلك!

عثمان: هل نَسمع الحكاية من أولها؟

أحمد: سأَروي لكم كل شيء بتفاصيله ... حتى تُلمُّوا بالصورة الكاملة للموقف. ويمكن أن نتصرف على هذا الأساس.

وأخذ «أحمد» يَروي لهم ما حدث خلال الأيام التي قضاها في إيطاليا ... منذ لحظة وصوله إلى بنسيون فابريلُّو ... إلى مقابلته بـ «كارميلا» في المتجر الصغير في ميدان سان ماركو منذ ساعة إلى مقابلتهم.

كانت قصة مشوقة ... شدَّت انتباه الشياطين الثلاثة ... وانتهى «أحمد» من حديثه قائلًا: إنَّ اسمي الآن «ريمون»، فلا تنسَوا أن تُنادوني به؛ فإن اسمي الأصلي الآن في القائمة السوداء عند الشرطة. وعند رجال العصابات الذين قد يظنُّون أنني قد أخذت المظروف السرِّي من «بازوليني».

ابتسم «عثمان» قائلًا: لقد أصبحتَ مهمًّا جدًّا!

أحمد: نعم ... إنني مرشَّح للموت من جهات عديدة.

زبيدة: وما هي خطوتك التالية؟

أحمد: كما قلت ... انتظار أن تتصل بي «كارميلا».

إلهام: أقترح أن نقوم بجولة في المدينة ... فطالَما تمنَّيت أن أزور فينسيا، ومن يدري ... لعلنا لا نأتي مرةً أخرى.

أحمد: فكرة معقولة ... وسأُخطر موظف الاستقبال أنني في انتظار رسالة تليفونية ليحتفظ بها حين عودتي.

وذهب «أحمد» ثم عاد سريعًا ... وانصرف الأربعة مشيًا على الأقدام يتجوَّلون في المدينة العريقة ... كان «أحمد» و«إلهام» يسيران في المقدمة ... وخلفهما «عثمان» و«زبيدة»، وأحس «أحمد» أن حلمَه قد تحقق ... فها هو و«إلهام» يسيران معًا في المدينة الجميلة ... وشمس دافئة مرتفعة في الأفق ... وهواء البحر المنعش ... يجدِّد النشاط ... وأمسك بيد «إلهام» وسارا معًا وقد نسيا كلَّ شيء إلا هذه اللحظة الدافئة من مشاعر الشباب العامرة بالحب والسعادة ... ووصلوا إلى كوبري الريالتو ... وهو من أهم المعالم السياحية ... ويشبه سفينة أحد طرفيها يصل إلى الضفة اليسرى ... والطرف الآخر إلى الضفة اليمنى ... مسقوف بالخشب وتَنتشِر به شرفات تُطلُّ على القنال الرئيسي الذي يقسم فينسيا إلى قسمين رئيسيين ... ومن تحته كانت قوارب الجندول تشق المياه ... ووقف «أحمد»

و«إلهام» في شرفة ينظرون إلى البحر وأحاط «أحمد» كتفَي «إلهام» بذراعه وهمس في أذنها: أليس هذا شيئًا رائعًا؟

إلهام: لا شك.

أحمد: ما رأيكِ إذا انتهت هذه القضية على ما يُرام أن نقضي بضعة أيام في فينسيا؟

إلهام: إنَّ ذلك ليكون أجمل شيء في الحياة! ... المهم ألا يكون وراءَنا مهمة أخرى ... فقد تركت رسالة من رقم «صفر» إلى بقية الشياطين أن يكونوا على استعداد.

أحمد: من أجل ماذا؟

إلهام: لا أدري.

سرح «أحمد» قليلًا في المهمة التي قد يطلب لها ... ولكن رغم سرحانه لاحظ بجانب من عينه رجل العصابة الذي خلَّص «كارميلا» من بين يديه ليلة أمس في كازينو الليدو ... شاهده يتسكع قريبًا منهم ... هل كان ذلك بمحض الصدفة ... أم أنهم متبوعُون! ولعل العصابات الأربع تراقب «كارميلا» مُراقبة دقيقة! ولعلَّهم شاهَدُوه عندما التقى بها هذا الصباح في ميدان سان ماركو! ولعلهم تبعوه بعد ذلك حتى مقابلته للشياطين وحضوره إلى هذا المكان!

ضغط «أحمد» بعنف على كتف «إلهام» فأدركت أن خطرًا قريبًا يحيط بهم ... ومالت برأسها على «أحمد» وسألته هامسة: ماذا هناك؟

لم يعد العالم كما كان

لم يُجِب «أحمد» على الفور ... وظلَّ يراقب الرجل بطرف عينه ... ولكن الرجل اختفى فجأة في الزحام كما ظهر ... واستأنف الشياطين سيرهم ... ولكن «أحمد» لم يَعُد يستمتع بما يجري حوله ... ولا حتى بصحبة «إلهام» ... وأخذ يُفكِّر أن ظهور الرجل لم يكن عبثًا ... إنما كان لإنذارهم ... إنها بلغة العصابات ... نصيحة بالانسحاب قبل إطلاق الرصاص ...

وكان على ثقة من أنه لا يُمكن أن يحدث شيء ... في ضوء النهار ... وفي وسط الناس. ولكن بعد ساعات يَهبط الظلام ... ويُواجهون العصابات الأربع ... ولا بد أن الموضوع سيحسم كله الليلة.

بعد جولة في المدينة الجميلة ذهبوا للغداء ... ثم ارتاحوا قليلًا ساعة العصر ... وفي المساء قال «أحمد»: سأدعوكم لسماع «كارميلا» في الليدو ... إنها لم تتكلَّم تليفونيًّا ولعلها تركت رسالة في محلِّ الدانتيلا.

وعندما أشرفت الساعة على التاسعة ليلًا نزلوا جميعًا واتجهوا إلى الليدو ... وفي طريقهم مرُّوا بالمحل ... ولكن كان قد أغلق أبوابه ... ووصلوا الليدو ... وبعد أن جلسوا ساعة في الشرفة الزجاجية بعيدًا عن الرياح التي بدأت تعصف ... دخلوا النادي الليلي ... كانت الموسيقى الراقصة تعزف ... وبعد لحظات انهمكوا جميعًا في الرقص ... «زبيدة» و«عثمان» ... «إلهام» و«أحمد» ... كان الجو شاعريًّا دافئًا ... وكلُّ شيء يبدو هادئًا وممتعًا ... ولكن في أعماق «أحمد» كان هناك شعور بالخطر ... شعور غامض ... ولكنه كاليقين، وبعد العشاء ... أُعلن في الميكروفون أن «كارميلا» ستظهر بعد دقائق. واستعدَّ الحاضرون جميعًا للاستماع.

وتحت الأضواء الملوَّنة ظهرت «كارميلا» ... ولاحظ «أحمد» على الفور أنها لم تكن على ما يُرام. كان يشوب صوتَها وحركاتها توتُّر ... ولم يكن في إمكانها أن تراه بعد أن أطفئت أنوار الصالة وأضيئت أنوار المسرح حيث تقف «كارميلا».

كان «أحمد» يتمنَّى أن يبلغها رسالة ... أن يقول لها إنه قريب منها ... وأنه وثلاثة من الشياطين يمكن أن يَحموها من أي خطر.

ورغم المكان المحكَم ... كان صوت الريح يأتي من الخارج عاليًا وصاخبًا ... متسللًا إلى الصالة مشيعًا فيها قدرًا من البرودة ... ومضت «كارميلا» تغنِّي أغنيتها الشهيرة:

لم يعد العالم كما كان،
كل واحد أصبح جزيرة وحده،
كانت فينسيا،
ولكنَّني أحاول أن أصل إليك ...
أن أعبر البحر،
ولو كانت حياتي ثمنًا،
المهم أن نُحاول،
فنحن لسنا سوى محاولة.

كانت قد نسيَت توتُّرها مع جو الأغنية ... فاندفعت تُغني بكل قوتها ... وجسدها الصغير يهتزُّ بانفعال ... وأحس «أحمد» بيد «إلهام» تُمسك بيده وتضغط عليها ... كان جو الأغنية لا يقاوم ...

ولكن أذنَي «أحمد» التقطت أصواتًا لا علاقة لها بالأغنية ... أصواتًا تأتي من خارج الكازينو وأدرك أن هناك حركةً غير عادية ... خاصةً عندما لاحظ أن الجرسونات يتجمَّعون في طرف الصالة ويتحدَّثون.

ونظر «أحمد» إلى الباب، ولاحظ أن عددًا من رجال الشرطة يقفون هناك ... وأحس بالخطر، لا بد أن أحدًا وشى به ... واحدٌ يعرف حقيقته ... وأنه ليس «ريمون» ولكن «أحمد» المتهم بالقتل ... وبحركة غير إرادية تحسَّس شاربه ... وأحسَّ أنه يقع ... ولكن من الواشي؟!

ليس هناك من يعرف حقيقته غير الشياطين الثلاثة ... و«كارميلا» ... فهل وشَتْ به «كارميلا»؟ ولكن لماذا؟

كان عليه أن يتصرَّف سريعًا ... فهمس في أذن «إلهام»: رجال الشرطة يسدون الباب ... سأخرج فورًا ... وسنَلتقي في سانتا كيارا بعد ساعة ... فإذا لم أحضر فانتظروا رسالة مني.

ووضع يده في جيبه فأخرج المظروف وأعطاه لإلهام تحت المائدة قائلًا: احتفظي به ... وتسلَّل «أحمد» في الظلام مسرعًا ناحية دورة المياه ... فتحها ودخل ... وأسرع إلى النافذة ... كانت تكفي جدًّا للقفز منها إلى الخارج ... ولم يتردَّد ... فتح النافذة واندفعت الريح العاصفة ... وقفز في هدوء إلى الخارج ...

وجد نفسه في شريط ضيق من الأرض عند ظهر الكازينو ... وسار مسرعًا حتى نهاية شريط الأرض ... ولكن فجأةً وجد شرطيًّا يقف يسد الطريق، فعاد في الاتجاه المضاد ... ودار حول الكازينو ... ووجد نفسه خلف غرفة مضاءة. نظر إلى داخلها وعرف على الفور أنها غرفة «كارميلا» ... وفكر لحظات ... ولكن تفكيره لم يَطُل فقد فتح الباب ودخلت «كارميلا» ... كانت قد انتهت من أغنيتها ... ولم تكد تُغلق الباب حتى شاهد رجلَين يَخرُجان من خلف الستائر ... وكان أحدهما يرفع مسدسًا ضخمًا. ودار نقاش عنيف بين الرجلَين و«كارميلا» لم يسمع «أحمد» منه شيئًا ... ثم انقضَّ أحد الرجلين عليها وكمَّم فمها ... وفي لحظات كانا قد أوثقاها ... ثم اتجها إلى النافذة التي يَربض «أحمد» خلفها.

التصق «أحمد» بالجدار وأخرج مسدَّسه ... وتجاوز أحد الرجلين النافذة ... ولم يكد يضع قدمه على الأرض حتى جذبه «أحمد» جانبًا وهوى بمسدسه على رأسِه ... وجاء الآخر يَحمل «كارميلا» على كتفه ... وصوَّب «أحمد» إلى بطنه لكمة هائلة جعلتْه يترنَّح ... وأسرع «أحمد» يلتقط «كارميلا» قبل أن تسقط ... وكان الرجل يضع يدَه ليخرج مسدَّسه ... ولكن «أحمد» أصابه بضربة قاسية في وجهه جعلته يصرخ ... ثم دفعه بكل قوته فسقط في البحر.

أسرع «أحمد» يفكُّ وثاق «كارميلا» ... وفي هذه اللحظة انطفأت أنوار الكازينو كلها. وارتفعت أصوات طلقات الرصاص ... وأمسك «أحمد» بذراع «كارميلا» وصاح: هيا بنا.

اندفعا يجريان على الشريط الضيق وعلى ضوء النجوم البعيدة ... شاهد «أحمد» أشخاصًا يَجرُون في كل اتجاه ... وسيارات تُطلِق أبواقها ... وأدرك أن معركة قد نشبت بين رجال الشرطة وبين بعض الرواد ... من هم؟ هل هم رجال العصابات الأربع؟ أم الشياطين الثلاثة؟

وأنصت رغم الضجة إلى صوت الطلقات ... وعرف صوت طلقات مسدسات الشياطين. إذن فالشياطين الثلاثة مُشتبكُون في صراعٍ ما ... وأسرع يجري في اتجاه ميدان المعركة

ومعه «كارميلا» ووجد بجوار الشاطئ جندولًا واقفًا ليس فيه أحد. فقال «أحمد»: اقفزي هنا وانتظري!

قفزت «كارميلا» إلى الجندول ... واندفع «أحمد» إلى ميدان المعركة ... كانت الطلقات تأتي من كل اتجاه ... شيء أشبه بميدان معركة في الحرب ... وليس في فينسيا ... وفجأةً وجد «زبيدة» تقفز إلى جواره دون أن تراه ... وصاح بها: ماذا حدث؟

زبيدة: محاولة لقتلِنا في الظلام!

أحمد: وأين «إلهام» و«عثمان»؟

زبيدة: لا أدري.

أحمد: هناك جندول بجوار الشاطئ ... اقفزي إليه ... ولا تجعلي أحدًا يقترب من «كارميلا» ... إنها فيه.

واقترب «أحمد» أكثر ... وشاهَدَ في هذه اللحظة «إلهام» تدور بسرعة وتندفع ناحية البحر وخلفها رجل يُحاول الإمساك بها ... وأطلق «أحمد» الرصاص مرتَين ... وسقط الرجل، ولكنه ظل يطلق مسدَّسه.

أمسك «أحمد» بذراع «إلهام» وطلب منها الاتجاه إلى الجندول ... ووقف يحدق في الظلام مختفيًا وراء جدار ... وكانت طلقات الرصاص قد خفت صوتها ... وبدأت أصوات الرجال تُنادي هنا وهناك ... انتظر لحظات ... ولكن «عثمان» لم يظهر ... وقرَّر «أحمد» أن يعود إلى الجندول.

أسرع على شريط الأرض الضيق ... وقفز إلى الجندول ... وقالت «كارميلا»: دعوني أُجدِّف أنا؟

وأمسكت بالمجداف وأخذت تُجدِّف مُبتعِدة ... كانت الرياح تهب بشدة ... والأمواج تلعب بالجندول الرفيع والمياه تصب فيه ... وبدا أنه سيغرق في أي لحظة ... ولكن لم يكن في إمكانهم العودة إلى ميدان المعركة.

صاح «أحمد» في الظلام: ماذا حدث بالضبط؟

صاحت «إلهام»: بعد أن قمتَ من مكانك بلحظات، اندفع رجال الشرطة نحونا ... وسألوا عنك فقلنا إنه ذهب إلى دورة المياه ... فاندفعوا خلفكَ وقُمنا نحاول الانصراف ... ولكن بعض رجال العصابات اعترضوا طريقنا ... كان عددهم كبيرًا. فأطلق «عثمان» مسدَّسه على صندوق الكهرباء وساد الظلام ... وتبادَلنا معهم إطلاق الرصاص مُحاوِلين شقَّ طريقنا إلى الخارج.

أحمد: وأين «عثمان»؟

زبيدة: رأيته يتعلَّق بالباب ويضرب رجلًا بقدمه في وجهه ... ثم اختفى بعد ذلك.

أحمد: إننا لن نستطيع العودة إلى سانتا كيارا ... إننا مُطارَدُون برجال الشرطة، ورجال العصابات.

كارميلا: ستأتون معي إلى منزلي.

أحمد: إنه أول مكان سيَبحثون فيه.

كانوا يتصايحون حتى يَسمعوا أصواتهم وسط العاصفة ... وقال «أحمد»: هل يمكن الذهاب إلى المحل؟

كارميلا: إنَّ معي مفتاحًا له.

أحمد: هذا أنسب مكان!

ووصل الجندول إلى ميدان سان ماركو الذي كان خاليًا ... واتجهوا جميعًا إلى محل الدانتيلا ... ودخلوا ... وأسرعت «كارميلا» إلى نهاية المحل ... وفتحت مطبخًا صغيرًا وأخذت تعدُّ لهم الشاي ... فقد كانوا في أشد الحاجة إلى شيء يدفئهم.

عادت «كارميلا» بصينية الشاي وقدم لها «أحمد» «زبيدة» و«إلهام» فقالت على الفور: إن الموقف يتطور بسرعة ... ولا بد أن أقول لكم الآن ماذا في المظروف الذي جئتم من أجله.

سكتت لحظات ثم قالت: إن في هذا المظروف ما يكفي للقضاء على العصابات الأربع ويُدمِّرها إلى الأبد ... إن به كشوفًا بأسماء رجال العصابات وتفاصيل عن خططهم في التهريب ... وأسماء عملائهم في بلادكم ... وهذا سرُّ الصراع الرهيب الذي يدور حول هذا المظروف ... فقد جمع فيه أبي كل الأدلة التي تُحطِّم هذه العصابات.

ورشفت «كارميلا» من كوب الشاي ثم نظرت إليهم طويلًا وقالت: إن المظروف معي الآن! وتوقفت يد «أحمد» التي امتدَّت لكوب الشاي وقال: معك الآن؟

كارميلا: نعم ... لقد حصلت عليه من صاحب فندق سانتا كيارا، قبل أن أصل إلى الكازينو بدقائق، ولم يتَّسع الوقت لأتصل ... وقد كادت العصابات تصلُ إليه ... لولا وجودكم ...

ومدت «كارميلا» يدها في حقيبتها ثم أخرجت المظروف ... هذا المظروف الذي يَحوي أخطر قائمة وأخطر أدلة ضد العصابات الأربع وببساطة ناولت «كارميلا» المظروف إلى «أحمد».

وفي هذه اللحظة سمعُوا دقًّا على الباب ووقف الشياطين الثلاثة ووقفت «كارميلا» معهم ...

وقال «أحمد» بلهفة: هل هناك طريق للخروج سوى الباب؟

ردت «كارميلا»: لا ...

وشهر الشياطين الثلاثة مسدساتهم وتقدموا من الباب ... واستمعوا ... وفجأة ابتسمت «زبيدة» وقالت: إنه «عثمان» ... ألم تتبيَّنوا عدد الدقات إنها الدقات التي يعرفها كل الشياطين!

وتقدمت «كارميلا» وفتحت الباب ... وأمامهم ظهر الشيطان الأسمر وقد تورَّمت إحدى عينيه من إصابة قوية.

صاحت «زبيدة»: كيف عرفت أننا هنا؟!

ابتسم «عثمان» وقال: لم يكن من المعقول أن تعودُوا إلى سانتا كيارا ... وهكذا مررت بالمحل ... وشاهدت الضوء من تحت الباب.

أشار «أحمد» إلى «إلهام». فأخرجت المظروف من حقيبتِها ... المظروف الذي أرسله رقم «صفر» إلى «بازوليني» ... وقال «أحمد»: إن التعليمات تقضي أن أتسلَّم هذا المظروف، وأسلِّم هذا.

ردت «كارميلا» دون أن تمدَّ يدها: إن به مبلغًا كبيرًا من المال وجواز سفر لأبي ... ولستُ في حاجة إلى المال. ولا أبي في حاجة إلى الجواز ... ردُّوا المال إلى رئيسكم ... فإنني أساعدكم من أجل العدالة ... ومن أجل الانتقام لأبي ... وأنصحكم أن تَخرُجوا الآن معي. إنني أعرف رجلًا يؤجر قوارب كبيرة فيجب أن تخرُجُوا من فينسيا فورًا!

أحمد: وأنت؟

كارميلا: سأجد وسيلة للخروج أنا الأخرى من هذه المدينة ... فلم يَعُد لي فيها مكان.

أحمد: وأين ستذهبين؟

كارميلا: لم يستقرَّ رأيي بعد ... ولكن في الأغلب سوف أذهب إلى فرنسا.

أحمد: إذا احتجتِ إلى مساعدة ... فأرسلي برقية إلى هذا العنوان ... وسنأتي فورًا.

وأخرج «أحمد» ورقة وسطر عليها عنوان المقر السري في بيروت ...

وبعد لحظات كان الخمسة يغادرون المحل. ويطويهم الظلام.

هنـــداوي